ميشيل عفلق

مداخلات حول الإشتراكية العربية



منشورات 1989 الطليعة

البعث والإشتراكية - الكتابات الأولى
6



معالم الاشتراكية العربية

ميشيل عفلق

دمشق 1946

اذا اردنا ان نعرف اشتراكيتنا تعريفا يميزها عن الاشتراكية الغربية، لا بل لنا من ان نلقي نظرة على نشأة الاشتراكية في اوروبا وعلى الشروط الفكرية والروحية والاقتصادية التي ادت الى ظهورها، ثم ننتقل بعد ذلك الى الكلام عن مجتمعنا العربي فنميز وضعه وشرطه وننظر فيما اذا كان الحل الذي يصلح للامم الغربية يمكن ان يكون صالحا لنا ايضا، لان اشتراكية البلاد العربية يجب ان تلبي الحاجات العربية وتراعي جميع الشروط والظروف المحيطة بالأمة العربية في مرحلتها الحاضرة.

ظهور الاشتراكية الغربية- ظهرت الاشتراكية في الغرب كحركة منظمة على اثر ظهور الصناعة الكبرى. والصناعة الكبرى وليدة الاختراعات الحديثة، بصورة خاصة اختراع الآلة، فنتج عن ذلك ان نشأت المصانع الكبيرة واجتذبت اليها العدد الغفير من العمال، وتوسعت المدن وتشكلت هذه الجماهير من العمال التي تميز العصر الحديث في الغرب خاصة وفي العالم بصورة عامة. فقد كان لا بد لهذه الصناعة الكبرى من أيد عاملة كثيرة، فترك الفلاحون قراهم وزراعتهم، وهاجر صغار الصناع واصحاب الحرف الصغيرة المستقلة صناعتهم وحرفهم اضطرارا نتيجة للمزاحمة القاسية التي فرضتها عليهم الصناعة الكبرى ذات رؤوس الاموال الضخمة المكتلة، واضطروا الى ان يشتغلوا كعمال مأجورين، بعد ان كان للفلاح أرضه وأسرته ووسطه الاجتماعي وتقاليده الروحية، وبعد ان كان للصانع الصغير المستقل حريته ولذته في العمل.

لقد اصبح جميع هؤلاء بمثابة آلات بشرية تخضع لمقتضيات الصناعة الكبرى الضخمة، وكان عليهم ان يهجروا حياتهم الماضية ويرضوا بهذا المصير البائس، فنشأت في المدن جماهير تميزت بفقدان الأواصر الاجتماعية، واتصفت بالنقمة واليأس، ثم دخلها المهاجرون المشردون من شتى الآفاق والبلدان، فلم يكن يجمع بين هذا العدد الكبير من العمال أي رابط كرابط الجنس والتاريخ والبيئة الاجتماعية، والصلة الوحيدة التي كانت تضمهم هي شيء سلبي الا وهو اليأس والنقمة.

من وحي هذا الوسط السلبي ظهرت النظريات الاشتراكية فانطبعت بطابعه وأفصحت عن حاجاته، فكانت النظريات الاشتراكية نظريات أممية لا تعترف بالوطن، منفصلة عن كل رابطة تاريخية او اجتماعية، متمردة على الدين السائد والاخلاق المعروفة، وبالجملة كانت ثورية الى ابعد حد، وكانت على حق في اتخاذها هذا الشكل، وفي اتجاهها في هذا السبيل.

ومنذ أوائل القرن الماضي بدأت البلاد الغربية والدول الكبرى مرحلة توسع وتخمة بعد ان استكملت شروطها القومية، وكانت الغاية من هذا التوسع في العالم هي ايجاد مصرف لنشاطها العسكري والاقتصادي. وكانت الطبقات

الرأسمالية المتمولة هي المسيطرة على الدولة، والحكومة ليست الا ممثلة او مندوبة من قبل هذه الطبقة فنتج عن ذلك افتراق تام بين طبقتين من المجتمع، الطبقة المتمولة المستثمرة، والطبقة الفقيرة المستثمَرة، وأدت نقمة هذه الطبقة الاخيرة على المتمولين واصحاب الصناعات الكبرى الى النقمة على الأمة كلها وعلى الوطن، فاصطبغت الاشتراكية هناك بالصبغة الاممية المعادية للفكرة القومية. وقد خاطب ماركس عمال العالم وهو يقصد عمال اوروبا بصورة خاصة فقال: ليس للعامل وطن، يا عمال العالم اتحدوا.

فالاشتراكية قد توجهت اذن نحو بيئة ونوع من البشر فقد روابطه بالوطن فعلا، وقضت عليه الأزمة الاقتصادية والتنافس الرأسمالي القاسي بان يكون مبتورا عن مجتمعه قد قطعت جذوره من أرضه وقوميته، فلم تبق له الا تلك الصفة الحيوانية التي تقتصر علي الغذاء فقط، لم يعد العامل غير مخلوق لا يهتم الا بما يغذي جسمه ويقتذه من الجوع.

اما المؤسسات الفكرية والروحية في الامم الغربية فقد وقفت على الغالب في صف الرأسمالية المستثمرة. فالدين انحاز الى الحكومات الرأسمالية واخذ يحميها بنفوذه ويدافع عنها، والفكر بصورة عامة انحاز الى الطبقة المحافظة، اي ان الكتاب وممثلي الفكر اخذوا يدافعون عن الوضع الراهن والماضي ويطلبون المحافظة عليه والدفاع عنه، فادى هذا الى حدوث تلك الموجة الطاغية من الثورة والتطرف اللذين حملت الاشتراكية لواءهما.

والخلاصة، ان الاشتراكية في الغرب كانت مضطرة الى ان تقف ليس ضد الرأسمالية فحسب، بل ضد القومية ايضا التي حمت الرأسمالية، وضد الدين الذي دافع عنها، وضد كل فكرة تدعو الى المحافظة وتقديس الماضي، كل ذلك لان الرأسمالية قد استغلته للدفاع عن مصالحها، فكان ضد مصلحة الحركة الاشتراكية.

العرب والمجتمع المغربي- لنعد الآن الى المجتمع العربي ولننظر الى شروطه الحاضرة، الى مميزات المرحلة التي يجتازها العرب. اننا نرى اولا ان البلاد العربية لا تشبه في شيء حالة الامم الغربية في مطلع القرن التاسع عشر فهي -اي الامم الغربية- قد اتمت دور تشكيلها واستكملت شروطها ودخلت في دور جديد هو التوسع، في حين ان الأمة العربية لا تزال الى حد كبير فاقدة لحريتها وسيادتها وهي علاوة على ذلك فاقدة لوحدتها القومية، تشكو من تجزئة اقطارها.

والبلاد العربية من جهة ثانية ليست في حالة الامم الغربية من حيث المحافظة الروحية او الفكرية او الاجتماعية لان الأمة العربية تشعر وتدرك تمام الادراك ان حياتها تتوقف على نبذ القديم والدخول في مرحلة تجدد قوي حاسم، وتعرف ان ليس في حياتها الحاضرة شيء حسن يستحق ان تحافظ عليه، بعكس الامم الغربية التي كان تاريخها تاريخا صاعدا يتكامل، لذلك فهي مطبوعة بطابع المحافظة، كما ان الأمة العربية ليست امة طامعة الى الاستعمار والتوسع حتى تكون في صف معاكس للاشتراكية. فوضع الأمة العربية السياسي والروحي والحقوقي هو وضع انساني، يتوافق كل التوافق مع سير قوميتنا في اتجاه الانسانية لان الحقوق التي نطالب بها وندافع عنها هي عين الحقوق الانسانية. وكذلك فانه ليس من مبرر لاصطباغ اشتراكيتنا بالصبغة المادية، فالروح في الغرب قد وصمت وصمة كبيرة لانها وقفت الى جانب الاستغلال والظلم والرجعية والى جانب شهوة التوسع والاستعمار، فكان لابد للاشتراكية وهي الحركة التحررية من ان ترفع لواء المادة في وجه تلك الروح المحافظة الرجعية، كما كان لا بد لها أيضا حتى تستطيع الصمود واقتحام تلك الصعوبات التي تقف في وجهها فتجابه ذلك الخصم العنيد الا وهو المال وكل المؤسسات التي تدافع عنه، من ان تظهر بمظهر الدين الجديد، فجعلت من المادة فلسفة عامة للكون ونظرة للحياة. اما نحن فليس هناك ما يوجب علينا ان نتبنى الفلسفة المادية حتى نكون اشتراكيين لان الروح بالنسبة الينا هي الأمل الكبير والمحرك العميق لنهضتنا، وهي التي تتجاوب اعمق التجاوب مع أمانينا في الحرية والتجدد والعدل والمساواة. انها روح سليمة غير مشوبة بالظلم كما في الغرب. والاشتراكية بالنسبة الينا فرع ونتيجة لحالتنا القومية ولضرورات قوميتنا، فلا يمكن ان تكون الفلسفة الاولى والنظرة الموجهة لكل الحياة، انها فرع خاضع للأصل الذي هو الفكرة القومية.

اشتراكيتنا ايجابية- ان نظرة نلقيها على الصورة التي رسمناها للمجتمع الغربي الذي نشأت فيه الاشتراكية يمكن ان تنبئنا بالفروق التي تميز حياتنا ومرحلتنا عن ذلك المجتمع. فنحن امة تتأهب لاستقبال حياة جديدة، وتناضل لاستكمال حريتها ووحدتها، فالدافع الذي يحدو بها هو الامل في المستقبل والشعور بروابط الماضي والتاريخ ووحدة المجتمع، فليس لدينا ذلك الوسط السلبي الذي يخاطبه ماركس والذي لا يعرف له اصل او روح. لذلك فان حركتنا ايجابية بعكس الاشتراكية الغربية المطبوعة بطابع السلبية، ويمكننا ان نقرر بان القومية العربية مرادفة للاشتراكية في وقتنا الحاضر، فلا تناقض ولا تضاد ولا حرب بين القوميين والاشتراكيين. فالقومي العربي يدرك ان الاشتراكية هي أنجع وسيلة لنهوض قوميته وأمته، لأنه يعلم بان نضال العرب في الوقت الحاضر لا يقوم الا على مجموع العرب، ولا يمكنهم ان يشتركوا في هذا النضال اذا كانوا مستَمَرين مقسمين سادة وعبيدا. فضرورات النضال القومي توجب النظرة الاشتراكية، اي ان نؤمن ان العرب لا يمكن ان ينهضوا الا اذا شعروا وآمنوا بان هذه القومية ستضمن العدالة والمساواة والعيش الكريم للجميع. القوميون العرب هم الاشتراكيون. فهذا النضال الذي تقومون به ضد الطبقة المستغلة التي فشلت في نضالها، وشوهت النضال وانحرفت به عن طريقه واستغلته اي استغلال، ان هذا النضال الذي يقوم به الجيل الجديد هو في الوقت نفسه نضال في سبيل تحقيق الاشتراكية، لان القضاء على الطبقة المستغلة للقضية القومية، هو ايضا قضاء على الاستغلال الطبقي الاجتماعي، اي تحقيق للاشتراكية.

مشكلتنا هي القضية القومية- لكل أمة في مرحله معينة من مراحل حياتها محرك اساسي يهز اعماقها ويفجر فيها ينابيع النشاط والحيوية والحماسة ويتفتح له قلبها وهو بمثابة نقطة يتركز فيها انتباه الأمة، وتكون مفصحة عن اعماق حاجاتها في مرحلة ما.

فاذا نظرنا الى العرب في الماضي وجدنا ان هذا المحرك الاساسي كان في وقت ما عند ظهور الاسلام هو الدين. فقد قدر وحده على استثارة كوامن القوى في النفس العربية واستطاع ان يحقق الوحدة والتضامن وان يلهب النفوس ويفتح القرائح وان يحقق بالتالي تلك النهضة. في ذلك الوقت، دعي العرب الى الايمان بإله واحد، فقادهم ذلك الايمان الى تحقيق الانقلاب الاجتماعي الاقتصادي الذي كانوا بحاجة اليه. فالاصلاح الاجتماعي كان فرعا ونتيجة للايمان العميق بالدين. اما اليوم فان المحرك الاساسي للعرب في هذه المرحلة من حياتهم هو القومية، التي هي كلمة السر التي تستطيع وحدها ان تحرك اوتار قلوبهم وتنفذ الى اعماق نفوسهم وتتجاوب مع حاجاتهم الحقيقية الاصيلة. فهم مكلومون في حريتهم وسيادتهم ووحدتهم لذلك لا يمكنهم ان يفهموا لغة غير لغة القومية.

وكما استجابوا في الماضي لنداء الدين فاستطاعوا ان يحققوا الاصلاح الاجتماعي فانهم يستطيعون اليوم تحقيق العدالة الاجتماعية و المساواة بين المواطنين وضمان الحرية بين العرب جميعا، نتيجة للايمان القومي وحده.

فالفرق بيننا وبين الغرب هو ان الامم الغربية، والكبيرة منها بصورة خاصة، انها امم ذات قوميات قائمة مستكملة الشروط، فليست القومية هي المحرك الاساسي بل الاقتصاد لان المشكلة الاجتماعية تحتل المكانة الاولى في حياتها. فهم لا يختلفون على استقلال البلاد وحريتها ووحدتها، لانها مستقلة موحدة، بل على تعريف المواطن وحقوق المواطنين، وهم لا يتنازعون على تاريخ الأمة وماضيها ومستقبلها، وانما على توزيع الثروة.

انهم يختلفون على حق كل مواطن في ان يستمتع بالشروط المادية اللازمة، لتحقيق مواهبه وضمان كرامته في الحياة. ونحن بالرغم من ان المسالة الاجتماعية والاقتصادية لها خطورة كبيرة في حياتنا فهي المشكلة الاولى غير انها تابعة لمشكلة اهم واعمق هي المشكلة القومية. ولا نستطيع ان نضمن للمشكلة الاقتصادية حلا الا اذا اعتبرت فرعا ونتيجة لازمة للمشكلة القومية.

اذا القينا نظره اخيرة على وضع الأمة العربية اليوم نشاهد ان الفكر العربي اخذ يستفيق من نومه الطويل ويتأهب لخلع القيود ولانطلاق والابداع ويظهر استعداده لاسترداد حريته وحيويته الماضية، غير ان النظريات الاشتراكية

الغربية تهدده بان تخنق يقظته في مهدها لانها مركبة تركيبا مصطنعا، وهي لا يمكن ان تحدث في الغرب الاضرار نفسها التي يمكن ان تحدثها في بلادنا، لان الفكر الغربي نشيط قوي ذو تراث حي متصل.. ومهما كانت النظريات الاجتماعية والسياسية مصطنعه فانها لا تستطيع القضاء على حرية الفكر الغربي وعلى نزاهته وعلى القواعد الاساسية التي يقوم عليها، في حين انه لم يمضي زمن طويل على تحررنا من العقلية السحرية والاوهام والخرافات، بل اننا لا نزال خاضعين لها الى حد ما. فكيف يكون مصير الفكر العربي اذا احتوته نظرية مصطنعة تفسر الكون والحياة وكل مظهر من مظاهر النشاط الانساني، وفي هذا التفسير ما فيه من تعسف وتعصب.

فالفرد العربي اليوم يحاول بعد خضوع مئات السنين للمجتمع ولقيوده البالية ان يسترد حقوقه شيئا فشيئا، والمجتمع الصحيح لا يقوم الا على الافراد الاحرار، فحرية الفرد شرط اساسي لتحريك المجتمع ولإنقاذه من الجمود، لانها هي التي تسمح بظهور العباقرة والمصلحين. اما الاشتراكية الغربية، فلا تعترف لهذا الفرد الذي نعلق عليه نحن الآمال الكبار، بأي حق او بأية حرية. فكيف يمكننا نحن الذين لم نكد نخرج بعد من جمود المجتمع القديم، ولم نكد نتحرر من سيطرة طغيان المجتمع ان ندخل ثانية في أسر مجتمع ليس للفرد فيه مكان غير مكان الآلة او مكان خلية سجينة في نظام ضيق محكم.

اما الخطر الثالث فهو على الروح العربية. فهي آخذة بالاستيقاظ، تحن الى البطولات الماضية وتتشوق الى بطولات جديدة، والتفكير المادي كما هو سائد في الغرب يهدد هذه الروح بالعقم والجفاف والنضوب.

اشتراكيتنا قومية- عندما نقول اننا نحتاج الى اشتراكية عربية، نقصد فقط ان تراعي الشروط الخاصة بنا كعرب في هذه المرحلة من الحياة. ونحن لا نختلف على مبدأ الاشتراكية وانما على اسلوبها، وعلى الموضع الذي يجب ان تحتله من حياتنا، فلا نقبل ان تكون قوميتنا مرحلة عارضة طارئة من مراحل التطور الاقتصادي كما تدعي الاشتراكية الغربية بل ان على الاشتراكية ان تتلاءم مع امتنا ومع نضالها القومي فلا تكون أداة للتآمر على الوطن، وعامل تفرقة او ستارا لحركات شعوبية.

نريد من الاشتراكية ان تخدم قضيتنا القومية، فعليها ان تزيدنا جرأة في الإقدام على حرية التفكير وعلى المناداة بحرية الفرد والدعوة إلى خصب الروح وغناها، لا ان تقضي على حريتنا الوليدة في مهدها.

دعوتنا الروحية دعوة واقعية- يجب ان لا يفهم من الدعوة الى الروح اننا ندعو الى المحافظة على الاوضاع الفاسدة، او اننا نتوهم ان الاصلاح الاجتماعي يمكن ان يتم بسهولة وذلك بمجرد توفر الرغبة وحسن النية، وان يظن اننا ننبذ التفكير الواقعي ونهمل ضرورات العلم ومقتضيات التفكير العلمي.

اننا بعيدون عن مثل هذه الاوهام، لأننا نؤمن بان واجبنا هو ان نكون واقعيين في تفكيرنا كما لو كنا ماديين، لان العودة بالمجتمع الى الوضع السوي المنشود لا تكون بالوهم، والسحر، والغموض، وانما بمشاهدة الواقع والتحقق من أمراضه ومداواتها مداواة حقيقية. فالطبقة المستغِلة المستثمِرة لن تتنازل عن ثروتها ومصالحها بمجرد ان ندعوها الى ذلك باسم القومية او باسم الروح والتقدمية، فلا بد من النضال والتكتل السياسي والتفكير الجدي. ان القومية في الغرب أصبحت وسيلة لاستثمار الشعب واستعباده وأداة للتعدي على الشعوب الاخرى والدين وقف الى جانب المستثمرين يدافع عنهم، والفكر اخذ يدعو الى المحافظة ومحاربة التجدد، لذلك فقدت الدعوة الروحية كل قيمة لها، وظهرت الدعوة المادية بمثابة المنقذ والمخلص. فالروح إذا آل أمرها الى ان تعجز عن معالجة الواقع، وصارت شعارا للجمود والنفعية والجهل، عندها تكون الدعوة الى المادة هي الدعوة الحقة.

فنحن مهددون بان تحل المادة محل الروح وان يحتل الإلحاد مكان الإيمان والانفلات والتطرف محل الاخلاق، اذا لم يع الشباب مسؤوليته الخطيرة وهي في ان يعطي هذه المفاهيم الروحية والقيم السامية معناها الحقيقي حتى تعود الروح فتسيطر مرة ثانية على الواقع وتفهمه وتستجيب لضروراته. فاذا ارجع الشباب الى هذه القيم الروحية معانيها

الاصيلة الحقيقية أنقذ أمته من أخطار العقلية المادية التي تهددنا في اخلاقنا وحيويتنا وحرية فكرنا وافرادنا، كما تهددنا في قضيتنا القومية.

في الإشتراكية بقاء الأمة وتقدمها

ميشيل عفلق

دمشق 7 تشرين الأول 1950

ان بين الشباب العربي والشعب العربي فُرقة لم يقصدها احد من الطرفين وإنما وقعت بحكم الاضطرار، فلا الشعب أراد ان يبتعد عن أبنائه الشباب ولا الشباب أرادوا ان يبتعدوا عن الشعب، ولكن حالتنا غير طبيعية، ولو كانت الأوضاع سليمة صحيحة شأن البلاد الراقية لكان هذا الاتصال امراً ميسوراً وطبيعياً ولما كنا سمينا شعبا وشبابا وفرقنا بينهم لان الشباب هم من الشعب أبناؤه وإخوته.

ولهذه الحالة غير الطبيعية أسباب ومبررات، فوجود أفراد وفئات تستغل موارد البلاد ومواهب الشعب وتصده لكي يسهل عليها استغلاله، لا يوافقها ابدا ان يكون هناك اتصال بين الشعب وأبنائه المخلصين الذين يفهمون حاجاته ويطمحون للتعاون معه لبلوغ الغاية المشتركة لمصلحة الأمة جمعاء.

موضوع حديثنا عن الاشتراكية. والاشتراكية بصورة بسيطة كما يفهم من لفظها هي ان يشترك جميع المواطنين في موارد بلادهم بقصد ان يحسنوا حياتهم وبالتالي حياة أمتهم لان الإنسان الفرد لا يقبل ان يجعل نفسه غاية في الحياة حتى أن أدنى المخلوقات البشرية في الأخلاق والتفكير نرى فيها هذا الميل وهذه الحاجة الى ان تجعل لحياتها غاية أبعد من مصلحتها الشخصية، فبالأحرى الإنسان الراقي الذي لا يستهدف سوى نجاح أمته وازدهارها. والاشتراكية يمكن ان تفهم ايضا بأنها نظرية اقتصادية حديثة ظهرت في قسم من بلاد العالم في هذا العصر، ولها تعاريف وأصول وأنظمة معروفة، غير انها كلها ترجع الى هذا التعريف البسيط الذي قلنا اي اشتراك المواطنين ني موارد البلاد التي هم منها.

لكن علينا ان نعرف بان للاشتراكية معنى آخر غير معنى نظرية معينة ظهرت في الغرب. لها معنى طبيعي مستساغ من النفس البشرية والعقل والضمير، وهي بهذا المعنى لا تخص امة بعينها او تخص عصرا او زمانا بذاته. هي شيء أعم واثبت من النظرية.

الحقائق هي دوما بسيطة. وليس كنور الشمس حقيقة ملموسة وهو من أبسط الحقائق. ماذا نريد في الحياة لأنفسنا ولأمتنا وللأرض التي نعيش عليها؟ هل نريد لها الا الخير والتقدم؟ هل نريد لها الا ان يكون الواحد منا ضامنا لحاجاته، وان تكون السبل مفتوحة أمامه لكي يظهر مواهبه وينشط ويعمل وينتج في النواحي التي يجيدها وان يضمن مثل هذا السبيل لأولاده. وبالتالي نريد لأمتنا ان تكون امة يسودها الخير والعدل والإنتاج النشيط الراقي، وان تكون حالتها الاجتماعية على أرقى شكل ممكن في العلوم والفنون. هذا ما يريده الفرد وما يريده المجموع فكيف يمكن ان نحقق هذه الغاية؟

ان أقلية من الناس تملك معظم الثروات وتسيطر على السلطة وتتصرف بها حسب رغباتها، وهي لا تكتفي بذلك بل تطلب المزيد. والنتيجة الطبيعية هي ان تحرم أكثرية الشعب من حقوقها. ولو كان الأسياد يستطيعون ان يحرثوا الأرض بأنفسهم أو يشتغلوا بالمصانع لحرموا الشعب من كل حقوقه. لذلك فأنهم يجدون أنفسهم مضطرين الى ان يعترفوا للأكثرية بحق بقاء الرمق حتى يستطيع الشعب العمل للأسياد.

في هذه الحالة من الاستثمار والاستغلال لا يكون الغبنُ واقعا على أفراد او فئة من الناس وانما تكون الجناية على الأمة بأسرها. والبلاد المتأخرة هي تلك التي يكون أفرادها محرومين من أكثر حقوقهم متأخرين في صحتهم وعلمهم وإنتاجهم الاقتصادي. ان هذا الوضع الشاذ أي سيطرة أقلية من أبناء البلاد على ثرواتها، وحرمان اكثرية الشعب من حقوقه الطبيعية المشروعة، يحول دون تقدم الوطن، فهذه المنافع التي يجنيها المستغلون تخنق مجموع الشعب وتحكم على الأكثرية الساحقة التي هي مجموع الأمة تقريبا بأن تدفن وهي حية، فالشعب الذي يستطيع ان يصنع وينتج ولا يسمح له الا بإنتاج بسيط ولا يعطى الا مدى ضيقا محدودا جدا في الحياة، ويفرض عليه الجهل والمرض والخوف والعبودية، هذا الشعب هو في حكم الميت وان كانت روحه في صدره.

فاذا فهمنا الاشتراكية بهذا المعنى وهي اننا نريد ان نرجع الى الحالة الطبيعية المشروعة المعقولة وان ينال كل ذي حق حقه حسب جدارته وكفاءته ويسمح للشعب بأن يظهر مواهبه ويستفيد منها، عندها يمكن ان يرتقي الشعب اي المجموع، فالطبقة الشعبية تساوي الامة تماما لأنها الاكثرية الساحقة والعنصر المنتج حقيقة.

فالاشتراكية اذن ليست شيئا غريبا صعبا أتانا من بلاد نائية وفيه نظريات معقدة. انها الشيء البسيط المشروع الذي يطلبه كل عقل سليم وضمير حي، ولا يمكن لأي فرد او فئة ان يكون مخلصا لوطنه، يشعر شعورا صادقا نحو أمته ويأبى في الوقت نفسه على الشعب هذا الحق، لان القومية التي هي الغيرة على مصلحة الامة، والاشتراكية تكادان تكونان شيئاً واحدا.

فتحقيق الاشتراكية في حياتنا شرط اساسي لبقاء أمتنا ولإمكان تقدمها، واذا لم تعمم الاشتراكية ولم نسع الى تحقيق العدل الاجتماعي لجميع الافراد، ولم يتقلب الشعب العربي الذي يعد سبعين مليونا، الى شعب منتج الى أقصى حدود الطاقة اذا لم يتحقق كل هذا يكون كل كلام عن حرية العرب واستقلالهم ضربا من اللغو ونوعا من التضليل.

ان المصلحة القومية وبقاء الامة ومجاراتها للامم الراقية وصمودها في تيار التنافس بين الدول متوقف على تحقيق الاشتراكية، اي السماح لكل عربي دون تمييز او تفريق بأن يصبح حقيقة ملموسة منتجة لا وهماً من الأوهام.

الإشتراكيّة العربيّة
تحدّد بالنسبة الى أهداف النهضة العربيّة

ميشيل عفلق

دمشق 12 آب 1950

ان عدّة اسئلة تعرض بهذه المناسبة(1): هل يصحّ ان تسمى المواد التي وضعت في الدستور إشتراكية؟ وهل في الإشتراكية اعتدال وتطرف، أم أن الإشتراكية واحدة ومجال الإعتدال والنظر هو في التطبيق وحده، فأما ان تتحقق دفعة واحدة، او تضطر الى تأجيل بعض اهدافها تبعاً للظروف؟ وهل الإشتراكية التي يحتاجها العرب تحدد بالنسبة الى مصالح بعض الأفراد من ذوي النفوذ والإقطاع؟

لئن سجل مشروع الدستور الجديد خطوة الى الأمام من حيث النص على فكرة الإصلاح الإجتماعي فإن هذه الخطوة ما تزال جد ضعيفة وهزيلة. حتى اذا قيست بما تتضمنه دساتير وتشريعات بعض الدول الرأسمالية في العالم، لذلك يكون الإدعاء بأن مشروع الدستور اعتنق الاشتراكية المعتدلة من قبيل اللغو والمبالغة.

اما التذرع بصفة الاعتدال ففيه مغالطة وتمويه. فالإشتراكية مهما تنوعت صفاتها واختلفت فيها الإجتهادات حدود واحدة واضحة تفرقها عن النظام الرأسمالي. ان الإشتراكية تعني دوما تأميم المرافق العامة والصناعات الحيوية الكبرى. كما تعني التوزيع العادل للاراضي واشراف الدولة او وضع يدها على التجارتين الخارجية والداخلية.

ولئن جاز التفريق بين اشتراكية متطرفة واخرى معتدلة فلا نجد ان ثمة ما ينطبق عليه صفة الاعتدال مثل اشتراكية حكومة العمال في بريطانيا. هذه اشتراكية معتدلة في بلاد عرفت دوما بالاعتدال والاتزان والتطور البطيء الذي يتجنب العنف والصدمات. ومع ذلك فأين من اصلاحات حكومة العمال البريطانية ما ورد في مشروع الدستور السوري؟ لقد حققت حكومة العمال الشيء الكثير من برنامجها الاشتراكي في مدة خمس سنوات، وما تزال ماضية في تطبيقه، ولما اضطرها الاحداث الدولية وبعض المصاعب الداخلية الى تأجيل تنفيذ قسم من هذا البرنامج، لم تتنازل عن هذا القسم الذي اضطرت الى تأجيله، ولم تقل ان القسم الذي حققته هو كل اشتراكيتها، وهكذا يكون الاعتدال في مراحل التحقيق لا في اصل المبادئ والبرامج.

وما دمنا في صدد الاشتراكية الانكليزية، فلنتخذ منها مناسبة لتوضيح معالم اشتراكيتنا المستمدة من حاجات الشعب العربي في هذه المرحلة التاريخية الحاسمة. ان الاعتدال الذي تتصف به الاشتراكية الانكليزية يظهر في المبدأ والأسلوب معا. فهي و مبدئها ليست جذرية تعيد النظر في جميع الأسس التي يقوم عليها النظام الإقتصادي والإجتماعي الانكليزي، لذلك لم تلجأ الى اعادة توزيع الثروة والأراضي كما حدث في بلاد اخرى، وهي في اسلوبها

ليست انقلابية بل تطورية تحقق ما يمكن تحقيقه بالطرق السلمية. وتفسير ذلك في شيئين: رقي المجتمع الانكليزي ونضجه السياسي وانسجامه القومي، وامتلاك الدولة الانكليزية للمستعمرات.

فاذا قارنا بهذه الحالة حالة البلاد العربية ظهر لنا الفرق واضحاً: فتأخر المجتمع العربي وضعف انتاجه والتفاوت المخيف بين طبقاته يجعل كل معالجة لا تتناول الأسس بالقلب والتبديل معالجة سطحية فاشلة. كما ان ضعف البلاد العربية كدول مجزأة منقوصة السيادة يحرمها من استغلال أكثر قواها الذاتية. فضلا عن القوى الاضافية التي تستمتع بها دولة ذات امبراطورية كبريطانيا. ففي حين يشارك العامل الإنكليزي الى حد ما بصورة آلية، في الفوائد التي لدولته من مستعمراتها، فيكون بهذا المعنى، وضمن حدود معينة رأسمالياً، اي مستثمراً لجهود غيره نجد الرأسمالي العربي يفقد بعض ثمرات قدرته الاستثمارية لمصلحة الدول والشركات الإستعمارية المتحكمة في بلاد العرب.

والآن اذا عرّفنا الاشتراكية تعريفاً واقعياً سليماً، وقلنا انها ليست غاية في ذاتها بل وسيلة ضرورية لتضمن للمجتمع أعلى مستوى من الإنتاج مع أبعد حد من الانسجام والتضامن بين المواطنين، نجد، على ضوء هذا التعريف، ان بلوغ المجتمع العربي في وضعه الراهن لهاتين الغايتين يتطلب نظاما اشتراكياً يكون أعمق اسساً وأشمل نطاقاً، وأعنف تحقيقاً من النظام الذي ارتضاه الانكليز وفق حاجاتهم التي هي دون حاجات الشعب العربي ارهاقاً والحاحاً.

اذن فليس الاعتدال والتطرف في المبادئ الإشتراكية امراً تابعاً لهوى الأشخاص واجتهادهم النظري، بل هو مرتبط بحاجات المجتمع. ومتى فهمت هذه الحاجات فهماً صحيحاً، فلا يعود ثمة مجال للاعتدال والتطرف. بل تتوجب تلبية هذه الحاجات الحياتية بأمانة وصدق عزيمة. اما اذا وضعت المبادئ والبرامج بمعزل عن حاجات المجتمع سواء أكانت رخوة سطحية كالتي يتبناها واضعو مشروع الدستور او عنيفة مجردة مصطنعة كنظرية الشيوعيين، فإنها بابتعادها عن تلمس حاجات المجتمع الحقيقية، ستتسبب في استفحال المرض بدلاً من تخفيفه وشفائه.

ان انكلترا التي يسير تاريخها منذ مئات السنين في اتجاه تقدمي صاعد، عندما بدأت تخسر بعض سيطرتها العالمية سارعت الى التعويض عن هذه الخسارة في القوة الخارجية باستغلال قوتها الداخلية على شكل أصح ونطاق أوسع مما كان في الماضي. وهكذا اخذت بالاشتراكية المعتدلة التي تنمي قدرة الشعب الانكليزي بتحسين حالة طبقته العاملة. أما الامة العربية التي يسير تاريخها منذ مئات السنين في هبوط وتدهور فليس لها اية قوة خارجية، بل على العكس هي موضع اعتداء المستعمرين الطامعين، وما ذلك الا لانعدام قوتها الداخلية.

فالاشتراكية التي توافقها وتلبي حاجاتها ليست للتعويض والإصلاح والترميم، بل للانقاذ من خطر الفناء وللخلق من جديد. لذلك لن تكون الإشتراكية العربية الا انقلابية في فكرتها، ثورية في اسلوبها، حتى تؤدي مهمتها.

المسألة الآن هي إحياء عشرات الملايين من أفراد الشعب العربي ولو اقتضى الامر موت عشرات أو مئات من الإقطاعيين العرب.

---

(1) مقالة كتبت بمناسبة مناقشة الجمعية التأسيسية في سوريا للمواد الاقتصادية في الدستور، نشرت في جريدة البعث، العدد 462.

الوحدة العربية .. والإشتراكية

ميشيل عفلق

دمشق 1956

سؤال (1): ما علاقة الوحدة العربية بالاشتراكية؟ وهل الاشتراكية شيء أساسي في النضال العربي؟

- إن القضية العربية يجب أن تؤخذ ككل لا يتجزأ، وان تُعالَج على هذا الاساس. واعتقد ان بعض الذين يحصرون اهتمامهم بالوحدة، هم مُجَزِئون للقضية العربية. ان نظرة حزب البعث الى قضيتنا القومية قامت على أساس أنها قضية واحدة، وأن حلها هو رهن بتحقيق انقلاب عربي، انقلاب بالمعنى العميق، لا ينحصر بالسياسة، وانما يتناول الفكر والروح والتربية الاجتماعية والاوضاع الاقتصادية. والسياسة في نظرنا هي التعبير عن موقفنا الانقلابي في جميع هذه الاوضاع والحالات.. واذا كانت السياسة لا تكفي دوماً للتعبير الصادق عن هذه النواحي، إلا انها بلا شك اقوى وسيلة لهذا التعبير. فعندما نقول ان الحل الصحيح لقضيتنا القومية، هو الحل الانقلابي البعثي، فان ذلك يعني بصورة بسيطة أن الحالة التي وصل اليها العرب منذ قرون عديدة، وليس فقط منذ بدء الاستعمار الغربي، وان الاوضاع التي نشأت في بلادنا منذ مئات السنين الى اليوم، احدثت خللاً وتشويهاً عميقاً جداً في بنيان الامة، وتباعداً بين شعور الامة العربية وبين الحياة نفسها فلم تعد أمتنا -بالتالي- تستجيب لدواعي الحياة الاستجابة السليمة.. فالانقلاب هو هذه المحاولة لاعادة الاستجابة السليمة الشفافة بين الامة وبين متطلبات الحياة. ويظهر بصراحة من هذا التعريف البسيط ان السياسة بمفهومها العادي لا يمكن ان تنفذ الى اعماق المشكلة واعماق المرض، ولا يمكن ان تغير شيئاً أساسياً في حياتنا، فما هو المطلوب اذن؟ هو تحريك الامة العربية تحريكاً عميقاً عنيفاً في الروح.

ولكي لا نقع في الالتباس المحتمل الوقوع كأن يُظَن بأن مشكلتنا الاقتصادية، مشكلة توزيع الثروة، هي المشكلة الوحيدة أو أنها هي المشكلة الحقيقية، نقول: انها مشكلة خطيرة تحتل المكان الاول في تفكيرنا ونضالنا، ولكننا دوماً نعتبر المشكلة الحقيقية - كما سبق مني القول- هي ان تبعث الروح في امتنا، هي ان يعود العربي والامة بمجموعها الى هذا الموقف الايجابي الفاعل الارادي السليم أيضاً.. موقف السيطرة على القدر، سيطرة العربي على قدره، معرفة الامة لمبررات وجودها، لغاية وجودها، والقدرة على تحقيق هذه الغاية. فالاوضاع الفاسدة وخاصة الاوضاع الاقتصادية، هي بمثابة المانع والحائل والمعيق لادراك الامة لذاتها ولوعيها حقيقة رسالتها. ان التعبير العملي عن هذه النظرية الانقلابية هو النضال بأوسع معانيه، لتربية الامة من جديد لكي تعرف كيف تواجه الصعوبات، لكي تستخرج قواها الدفينة وعزيمتها الغافية بالاحتكاك والاصطدام بالمصاعب..

وهذا النضال -كما قلت- يجب ان يفهم بأوسع معانيه. فهو في آن واحد نضال مع القوى الخارجية (والقوى الخارجية هي الصهيونية والقوى الاستعمارية) وهو نضال ضد الأوضاع الفاسدة في داخل الوطن وهذه الأوضاع سواء اكانت ظلماً سياسياً ام اجتماعياً، استغلالاً ام جهلاً، وضعفاً في الفكر وتعصباً ونقصاً في المحبة والتسامح.. كل هذه الاوضاع عندما ندعو المواطنين الى محاربتها فليست الغاية تهديم هذه الأوضاع الفاسدة فقط، وانما الغاية - على الأخص- أن يستعيد الشعب ادراكه لقيمه الأصيلة ولغاية وجوده الحقيقية بهذا الصراع الجدي. والنضال يكون ايضاً في نطاق النفس وخاصة بين المناضلين وبين ذواتهم، اذ ليس اخطر من ان يتجمد المناضلون، وهم مكلفون باحداث هذا الانقلاب في

حياة الامة، ان يتجمدوا على مفاهيم سطحية.. اذ لو انهم تجمدوا فكيف يمكن ان يحركوا الاخرين؟ فالمناضل يجب ان يكون في نضال مستمر مع نفسه ليعمق فكرته ويعيد النظر فيها دوماً فيحذر من ان يخدع نفسه وان يجبن عن المزيد من الجرأة والمزيد من التوغل في طريق فكرته الانقلابية حتى يصل الى الصفاء الخالص والصدق التام..

هذه الاسئلة تأخذ القضية كما قلت من وجهة نظر تجزيئية، وهذا ما يجب ان ننتبه اليه محاولين دوماً ان نعيد الى قضيتنا القومية وحدتها، وعلى هذا الاساس اجيب الاخوان الذين سألوا عن سبيل تحقيق الوحدة العربية وعن علاقة ذلك بالاشتراكية وعما اذا كانت الوحدة تسبق الاشتراكية وعما اذا كان ثمة علاقة بين الهدفين.. اقول بناء على نظرتنا الموحدة للقضية العربية: لا نعتقد ان بالامكان الفصل بين الوحدة العربية والاشتراكية، ان الوحدة العربية أعلى وأغلى في مراتب القيم من الاشتراكية. ولكن مطلب الوحدة العربية يبقى لفظاً مجرداً وألهية، وفي بعض الاحيان خداعاً مؤذياً، اذا لم يوضع في نصابه الحقيقي، اي اذا لم يوضع على الصعيد الشعبي، اذ ما من قوة تستطيع تحقيق الوحدة غير الشعب العربي.

ليست الحكومات وليست الدول الأجنبية وليس السياسيون ولا المفكرون بقادرين على ذلك وإنما الشعب وحده، جماهير الشعب هي التي تستطيع تحقيق هذا المطلب الخطير، فكيف يمكن ان يتحرك الشعب لحمل هذا المطلب الثقيل، وهو رازح تحت هذه الاوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية؟

فتوحيدنا اذاً بين الوحدة والاشتراكية هو مثل اعطاء جسم لفكرة الوحدة. الاشتراكية هي الجسم، والوحدة هي الروح، اذا صح التعبير والتشبيه. فان القوى التي لا حصر لها، المعادية للوحدة العربية، القوى التي تعاديها عن وعي وتصميم (والقوى الاستعمارية والصهيونية من أخطرها) والقوى الداخلية المستعبدة للمصالح والتي تضحي بأغلى المصالح والاماني القومية في سبيل مصلحتها الخاصة، هذه القوى جميعها الواعية في عدائها للوحدة، يضاف اليها كل ما في مجتمعنا من جمود ومن جهل ومن رواسب وعادات كلها تشد الى الوراء، وكلها تجبن عن التجدد وتخشى أي خطوة جديدة فيها تعب وفيها تضحية.. كل هذه الآراء الشتيتة والعصبيات المختلفة: الطائفية والاقليمية والفكرية التي تجزئ وتقطع بنياننا القومي.. كل هذه الحوائل والعوائق ضد الوحدة، وان لم تكن ارادية واعية، لابد لنا لكي نقوى على مجابهتها وقهرها من الاعتماد على قوى حية، قوى في مستوى هذه العوائق.. وليس من قوة حقيقية يعتمد عليها غير قوة الشعب. والشعب كما قلت اذا سلمنا بأن عاطفته ايجابية نحو الوحدة، وهذا شيء طبيعي، فماذا تجدي العواطف، اذا بقي هذا الشعب عاجزا مكبلا؟ ولكننا اذا حركناه للنضال، في سبيل حياة حرة كريمة، واذا عودناه التمرس بهذا النضال، ثم استطعنا ان نجد ضمن هذا النضال منفذاً للوحدة.. وهذا الامر ميسور وطبيعي جداً - فعندئذ تصبح الوحدة موضوعاً عملياً وتصبح مطلباً واقعياً. لذلك لم يكن حزبنا حزباً اشتراكياً فحسب، ولم تكن الاشتراكية اول صفة له، فهو حزب عربي، حزب بعث عربي، والبعث هو الانقلاب كما تعرفون، وكل مطلب آخر نفهمه ونُفَهِّمه للشعب انما هو منبثق من خلال هذه النظرة، نظرة اننا نسعى الى بعث عربي، الى انقلاب عربي.. وفي نضال الحزب لم نغفل هذه الآراء لحظة واحدة، وفي كل قرية وفي كل معمل حيث العمال والفلاحون يناضلون في سبيل حياة أفضل، في انتزاع حقوق مغصوبة لهم.. يردد الجميع بأفواههم ويشعرون بقلوبهم، ويعرفون أن ذلك ليس إلا وسيلة وخطوة نحو هدف أعظم، هو توحيد الوطن العربي.. وهذا التوحيد ليس الهدف النهائي ولكنه بدوره وسيلة لكي تقوم الأمة العربية بمهمتها في الحياة.. وهذا المزج بين الهدفين، شيء اساسي نحرص عليه دوماً، ولكننا نعرف ان التطبيق لا يأتي دوماً صادقاً كل الصدق، متفقاً كل الاتفاق مع الخطة او التصميم الموضوع له.. فأحياناً يرجح مطلب على آخر، وتكون الظروف في بعض الاحيان سبباً في هذا التفاوت بين مطلبين لا يجوز الفصل بينهما ولا الترجيح.. تأتي ظروف مواتية لانتشار وتوسيع النضال الاشتراكي كما تأتي ظروف اخرى مواتية لتوسيع النضال الوحدوي - هذا شيء لا مفر منه اذا بقي في هذه الحدود، اذ أن الواقع يختلف تماماً عن التصميمات النظرية، ولا نستطيع دوماً ان نتحكم في الظروف، بل واجبنا ان نحسن الاستفادة من كل ظرف على افضل وجه ممكن.. وهناك أخطاء لا تعزى الى الظروف وانما الى الحركة نفسها، أي ان افرادها أو بعض أعضائها يكون فهمهم لوحدتها فهماً ناقصاً سطحياً. فمنهم من يعتقد ان الاشتراكية هي ارجح

وافضل وأن الوحدة تأتي في الدرجة الثانية، ومنهم من يرى العكس، ولكن الشيء الذي يهمني التنبيه اليه، هو أن نكون حذرين كل الحذر أمام من يتذرع تذرعا ببعض الاهداف أو المطالب أو القيم القومية لإخفاء مصالحه الخاصة.. للدفاع عن مصالح خاصة سواء أكانت هذه المصالح ضخمة أم صغيرة.. فالاجتهادات الفكرية ليست دوماً فكرية، وكثيراً ما تخبئ وراءها المصالح والاهواء الشخصية. او ليس مما يدهش أو يدعو إلى شيء من التساؤل والتشكك أن نرى ذوي المصالح الاقتصادية في الوطن العربي -أكثرهم أو بعضهم- يتحمسون للوحدة العربية تحمساً مشبوهاً، لا يُقْصَد منه أكثر من ضرب الحركة الاشتراكية، ومن إلقاء الشبهة عليها، وإثارة الريب حولها بأنها معيقة لتحقيق الوحدة ومبعثرة للجهود ومشتتة للأفكار، وأن أوانها لم يحن بعد، وأن الوحدة اذا تحققت كفيلة بحل كل هذه الصعوبات؟

ثم لننظر الى هذا الوهم الآخر: هل صحيح أنه اذا تحققت الوحدة فالاشتراكية وكل الامور الاخرى تتحقق؟ ليس هذا صحيحاً ولا مضموناً، وفي التاريخ وحدات قومية تحققت على أساس رجعي إقطاعي تعصبي.. على أساس الإستغلال وإحتقار الفرد والمواطن والحرية.. فهل نحن نؤمن بالوحدة كصنم أم نؤمن بها على أنها وسيلة لتحقيق رسالة الامة؟ .. فاذا لم تظهر من الآن ملامح الامة العربية الجديدة التي نريدها انسانية حرة إيجابية.. إذا لم تظهر هذه الملامح منذ الآن - والسياسيون جلهم من طبقة ذوي المصالح المجرمة- فمن يضمن لنا أنها سوف تظهر عندما يحقق السياسيون الرجعيون الوحدة؟ أم انهم سينشئون دولة للعبيد مرة أخرى؟ اننا لا نفصل بين أهدافنا البعيدة ونضالنا الحاضر في سبيل تحقيق هذه الاهداف. ان ما نريده لامتنا بعد عشرات السنين يجب ان يظهر ولو بشكل موجز مصغر، يجب ان يظهر منذ الآن في نضالنا، نريد أمة حرة كريمة تؤمن بالانسانية والقيم العليا.. لها رسالة.. رسالة خَيِّرَة. فلا يمكن ان نتجاهل هذه القيم اليوم ونرجئ تطبيقها الى حين تحقيق اهدافنا بعد عشرات السنين.. واذا كانت هذه القيم لم تتجسد في نفوسنا واعمالنا منذ ان بدأنا النضال ووعينا هذه القيم، فاننا لن نحققها في يوم من الايام في المستقبل.. فالإنقلاب العربي ليس هو الذي يتحقق عند ما يستلم حزب انقلابي الحكم في البلاد العربية كلها.. الانقلاب العربي يبدأ وفي نفس اللحظة منذ ان تتكون فكرة الإنقلاب في اذهان الطليعة. وكلما زاد عدد افراد هذه الطليعة وجب أن يزداد تجسيد هذه القيم في تفكيرهم وسلوكهم النضالي.. عندها يكون استلام الحكم ثمرة لاختبار طويل طبيعي صادق بين هذه الافكار وبين حياة الشعب، ولا فرق بين الانقلاب وأدوات الانقلاب، الذين هم المناضلون وهم افراد الشعب. اذا لم يكن المناضلون محققين لقيم الانقلاب منذ البدء، فمن المستحيل أن نصدّق بأنهم سيتغيرون عند إستلامهم الحكم، بل أن السلطة والقوة عرضة للاغراء ومجلبة لضعف النفس بدلاً من رفعها الى مستوى تلك القيم.

سؤال (2): كيف يمكن ان نعلل نضال الشعب العربي في المغرب بينما هو يعيش في فقر، وحزب البعث يعتبر الاشتراكية شيئاً اساسياً في النضال العربي؟

- لم اقل بأنه يجب ان يرتفع مستوى الشعب المادي حتى يستطيع النضال. واقع الحوادث وتاريخ حركتنا يدل على ان مستوى الشعب يرتفع نتيجة للنضال، وكلما ناضل استطاع تحقيق شيء من التحسن في أوضاعه، وكلما كان النضال محققاً لمستوى اقتصادي اعلى كلما كان اقوى واجدى. ان نضال المغرب لا يشذ عن القاعدة بل هو اقوى دليل عليها. نضال اقطار المغرب الثلاثة يتجلى بأكمل صورة في نضال احد هذه الأقطار وهو الجزائر، مع ان الاوضاع في تونس ومراكش كانت احسن بكثير من حيث الحرية، من حيث الوضع الاقتصادي، من حيث مستوى السيادة السياسية.. فتونس ومراكش كانتا في مستوى المحميات، في حين ان الجزائر كانت تحكم حكماً مباشراً ويُفنى شعبها ويُجلى عن أرضه ويتحمل كل انوع الاضطهاد. فكان نضال تونس ومراكش شبيهاً بنضال العراق وسورية زمن الانتداب الفرنسي والبريطاني، لذلك لم يعط هذا النضال كل نتائجه، وتوقف عند حد وسط من المساومة والمفاوضات كما هو معروف لديكم، وقبلت تونس في العام الماضي بعد ثورة سنتين وتضحيات هائلة.. قبل زعماؤها باتفاقية لا تغير شيئاً أساسياً في الوضع، وتبقي لفرنسا السيطرة على كل شي، وانما سمحت ببعض الاستقلال الذاتي كأن تكون للتونسيين وزارة ومجلس ثم عاد زعماء تونس فحصلوا على تعديل لهذه الاتفاقيات، وانتزعوا حقوقاً جديدة بفضل نضال الجزائر. كذلك مراكش يقال فيها نفس الشيء.. ففي تونس ومراكش، الحركة الاستقلالية ليست شعبية بالمعنى

الصحيح لان قيادتها ليست شعبية.. الشعب يناضل ويدفع الثمن، ولكن القيادة هي تلك التي كانت منها طبقة النضال في سورية ولبنان والعراق.. طبقة اقطاعية بورجوازية. وهذه الطبقة تحارب الاستعمار: عين لها على العدو وعين على تجارتها واملاكها، لذلك لا يمكن ان تصل في النضال الى آخره. ويأتي يوم تصبح فيه هذه القيادة التي عرفناها هنا وعرفها الشعب العربي في مراكش وتونس، تصبح قيادة النضال هذه خائفة من الشعب عندما يزداد نضال الشعب، اكثر مما هي خائفة من الاستعمار. اما في الجزائر، فالاستعمار نفسه حل المشكلة، لانه منذ قرن وربع القرن يعمل على افناء الشعب العربي هناك وعلى حرمانه من أبسط عوامل البقاء لتحويل هذه الأراضي العربية الى أرض فرنسية يستغلها الفرنسيون ويتكاثرون فيها.. ولكن العنصر العربي فيه صمود وفيه حيوية، وقد اوصله الاستعمار الى حالة يستوي فيها الموت والحياة. هذه هي الحالة الثورية الممتازة: إن العرب في الجزائر يقبلون على الموت لانهم لا يخسرون شيئاً وقد يكسبون كل شيء. اذا خسروا فحياة ذليلة، وان كسبوا فحرية واستقلالاً ووحدة مع مجموع امتهم. والاستعمار الفرنسي لم يبق طبقة ارفع من طبقة، فكلهم في الفقر وفي الذل سواء. ولذا كانت اهدافهم القومية ومصالحهم الاقتصادية مترابطة كل الترابط، وكان نضالهم من اجل الحرية والاستقلال نضالاً من اجل أوضاع مادية أفضل في وقت واحد، فكان نضالاً جدياً وشاملاً، وهذا يدل على أن الوضع المادي هو اساس التحرر، فحيث لم يصل الوضع المادي الى هذا الحد من الانخفاض - في تونس ومراكش حيث المستوى أرفع- لم يكن النضال شاملاً.

اما في الجزائر فانه نضال شامل، لأنه نضال حياة أو موت، وخلاص المغرب العربي هو بيد الجزائر، لأنها هي البقعة الثورية الصحيحة التي لا يمكن ان تتراجع عن الثورة مهما حشد الاستعمار من قوى لإبادة هذه الثورة. فالشعب هنا إما ان ينال حريته أو يفنى ولن يفنى إذ أن استمراره في النضال سيحرك جميع العرب وسيكون الظفر له آخر الامر.

وإني أعود لألح على اهمية الاوضاع المادية لان الشباب المثقف يعيش في وضع هو نسبياً مريح، لذلك قد تنشأ عنده أوهام لها نتائج خطيرة عندما يفكر في قضيته القومية - فالأجدى والأجدر بالشباب ان ينزل الى صفوف الشعب بين الحين والاخر، وان يتصل بالفلاحين في القرى وبالعمال وبالطبقة الفقيرة، وان يتعلم منها، لأن في حياتها دروساً كثيرة رائعة، لا يستطيع الشباب ان يتعلموها في المدارس.. فالأوضاع المادية ليست مادة وانما هي الروح. عندما يصل الإنسان الى حالة يصبح معها كأنه شيء وليس بشرا.. عندما تعوزه أبسط الوسائل للإبقاء على الحياة في نفسه وللابقاء على الحياة في اسرته، فان نضاله عندئذ في سبيل تغيير هذا الوضع، وفي سبيل رفع مستواه، هو نضال من أجل إرجاع انسانيته.. فالأكل ليس للأكل، والدواء ليس لتسكين الألم، وإنما ليعود الانسان انساناً يمارس مهمته كانسان، فيجدر بنا أن لا نستهين بالوضع المادي، بل نعتبره أهم تعبير عن واقع الانسان.

سؤال (3): كيف يمكن أن تتحقق الوحدة العربية؟ إن الأفكار التي ذكرها الاستاذ تحاج إلى وقت طويل لتتحقق، بينما "اسرائيل" خطر داهم وقريب جداً؟

- كنت أعطي بعض الملاحظات العامة عن نظرتنا الى الوحدة ونظرة الآخرين إليها، وعن علاقة الوحدة بالإشتراكية، ولكني لم أتعرض بعد للخطوات العملية، وأسارع إلى القول بأننا لا نذهب إلى أن الوحدة العربية ستتم دفعة واحدة، بل أن الطبيعي والمعقول أن تتم على مراحل، ونحن نقول بهذه النظرة ، نظرة المراحل، ونعمل بها ولها: فالاتحاد بين قطرين او ثلاثة هو مرحلة يجب ان تنصبّ عليها كل جهودنا حتى تثمر، وهي بدورها ستسهل الوصول إلى مرحلة أعلى، إلى توحيد اوسع وأبعد.. وأعتقد بأن سياسة الحزب في هذه الناحية ليست مجهولة، فالحزب قبل سبع سنوات وافق على مشروع الإتحاد بين سورية والعراق ضمن شروط، وفي السنة الماضية طرأت ظروف سياسية معروفة جعلت تحقيق هذا المطلب متعذراً الآن. وقال الحزب باتحاد يقوم بين اقطار متحررة كل التحرر من النفوذ الاستعماري ملتقية في سياستها الخارجية والعربية.. أن يكون بين هذه الأقطار إتحاد أو ما هو قريب من الإتحاد. وهكذا ساهم الحزب في مشروع الميثاق العربي، الذي كان مقدراً له منذ عام أن يضم مصر وسورية والمملكة العربية السعودية.. وقبل شهر من الزمن وُضِع في سورية ميثاق قومي بين الأحزاب، وكان حزبنا يطالب بالإتحاد التام مع مصر،

وقد رفضت ذلك الأحزاب الأخرى بدون إستثناء، وانتهى الجميع الى صيغة ضعيفة قريبة من الميثاق تقول بتوسيع الإتفاقيات بين مصر وسورية والسعودية حتى تشمل إلى جانب الناحية العسكرية، النواحي السياسية والإقتصادية والثقافية. وفي اليوم الذي يتخلص فيه العراق من أوضاعه الشاذة لا يعود شيء أثمن من الاتحاد مع العراق. وأعتقد بأن هذا التحول الذي فرضته الظروف - ظروف خارجية لم يكن لنا حيلة فيها - كان لخير القضية، إذ أنه قرّب بين مصر والأقطار العربية الاخرى، واختصر الزمن مسافات طويلة. وهذا التفاعل الذي نراه ونلمسه بين مصر التي كانت مغرقة في الإنعزالية، وبين الأقطار العربية الأخرى هو من الحوادث الخطيرة، التي تدعو الى الاستبشار، وليس لنا إلا أن نشجع هذا التفاعل بكل قوانا. أما القول بأن خطر إسرائيل لا يسمح بالإنتظار عشرات السنين فيحتاج الى توضيح.

إننا عندما نقول بأن اهدافنا تتطلب عشرات السنين حتى تتحقق، فليس يعني ذلك بأننا سنبقى ضعفاء نحرص على التجزئة وعلى كل الاوضاع الراهنة حتى تتحقق جميع الاهداف دفعة واحدة. فالأهداف الإنقلابية - كما قلت- بدأ تحقيقها منذ اليوم الأول لوجودها في افكار الأفراد، وهي في تفاعل مستمر مع الشعب، والشعب يضغط على الأوضاع الرسمية لتستجيب له، بقدر ما يكون في ضغطه من قوة. انني ما أردت من قولي إن عشرات السنين تنتظرنا، إلا أن أبين أن اهداف الإنقلاب العربي اهداف أصيلة وصعبة وجدية، تحتاج إلى نضال طويل حتى نصل إلى ذلك المستوى الجدير بأمتنا، لان مطلبنا ليس هيناً.. ان مطلبنا ببساطة هو أن تعود الأمة العربية للمساهمة من جديد في الحضارة الإنسانية.

أذكر أننا قبيل معركة فلسطين الأولى، قبيل قرار التقسيم وبعده، وقبيل الحرب في سنة 1948، عندما كان حزبنا يطالب ويلح في الطلب على الحكومات العربية لكي تعد الاعداد اللازم لمواجهة تلك المعركة، ويؤكد أن مواجهة المعركة في فلسطين تستوجب تحرير الشعب داخل الأقطار العربية لأن المستعبد لا يستطيع ان يحارب.. أذكر أن الرسميين في البرلمانات وفي دعاياتهم كانوا يجيبوننا دائما هكذا: "هل من المعقول أن نفكر في أمور أخرى غير الحرب أمام خطر أكيد داهم كالخطر الصهيوني"؟ وهذه مغالطة شنيعة لأن الحرب غير ممكنة، إذا لم يقم بها الشعب، والشعب لا يقوم بالحرب اذا لم يكن شاعرا بالحياة وحاصلاً على الحد الادنى من

الحياة.. وبعد النكبة تغيرت دعاياتهم: "نحن الآن مشغولون بالإعداد لاسترداد أرضنا من العدو" والحجة أو الغرض في كلتا الحالتين هو عدم التعرض لهذه الأوضاع الفاسدة. قبل النكبة ليس هناك وقت والخطر مداهم. وبعد النكبة ليس هناك وقت للتفكير أيضاً في الحلول الجذرية، وإنما يجب أن نعد الوسائل الممكنة لمواجهة الخطر..

لقد حان الوقت اذن لكي نكشف المغالطة والخداع في هذا المنطق، فبدون نظرة جذرية إلى أوضاع الشعب لا تكون هناك مقاومة جديّة للخطر الصهيوني.. بدون رفع المستوى الإقتصادي، بدون التوحيد الممكن لبعض الاقطار العربية، لا يكون للدخول في معركة فعلية مع الصهيونية معنى جديّ.

فالخطر الصهيوني - فيما اعتقد لن يجد متحمسين ومستعدين لمواجهته مثل هذه الفئة الانقلابية ومثل الجمهور الشعبي الذي يتبعها، لأنه بدأ يدرك معنى الحياة القومية والرابطة القومية.. ونحن- مع علمنا بأن مشكلة بقاء الصهيونية في فلسطين قد لا يحل هذا العام حتى لو وقعت حرب، إذ أنها تتطلب تحقيق مستوى أعلى من النضال، من الإمكانيات المادية والمعنوية- فإننا لن نتأخر عن خوض المعركة ولو كانت بعد أشهر، فان اعتقادنا راسخ بأن المعركة إن وقعت قريباً أو بعيداً فستكون محررة لا لفلسطين وحدها، بل للوطن العربي كله، لأن الشعب عندما يدخل ساحة النضال لن يكتفي بالقضاء على عدو واحد.

وبهذه المناسبة أقول: إن نظرتنا إلى الوحدة العربية تجعلنا نهتم بنضال الجزائر مثل اهتمامنا بقضية فلسطين، في حين أن الحكومات- كما تعرفون- تؤجل وتتجاهل هذا النضال العظيم الذي يخوضه الشعب العربي هناك، فتنظر إليه نظرة

مادية سطحية جداً، بحجة حل مشاكلنا الداخلية أولاً، مع أن المعركة في الجزائر لا تتطلب غير شهور حتى تنتهي بالظفر فيما لو أمدّت بالعون اللازم..

[1] حديث في النادي الثقافي ببيروت في شباط 1956.

الإشتراكية والحرية

ميشيل عفلق

دمشق 16 تشرين الثاني 1963

ان التساؤل (1) الذي وجّه في هذه الجلسة من المؤتمر حول: أي من الشيئين هو تابع للآخر.. القومية ام الاشتراكية؟.. وأيهما يأتي قبل الآخر؟ يشبه مناقشة اللاهوتيين...

يكفي اننا اكتشفنا حقيقة أساسية واعلناها، والتجربة برهنت على ان القومية حقيقة حية، وأنها عندما تدعم بالاشتراكية تعطي نتائج ثورية هائلة، لم تعطها الاشتراكية عندما كانت منفصلة عن القومية.

وفيما يتعلق بالتسمية: اشتراكية عربية. لم تكن هناك نظرية خاصة عن الاشتراكية.. هي النظرية العربية، وإنما اردنا من هذه التسمية التأكيد على حقيقة القومية. وهذا شيء اساسي وخطير، وشيء سبقنا فيه الجميع. يجب ان يعرف الحزب هذه الميّزة فيه... ولقد كان المؤتمر العشرون للحزب الشيوعي السوفياتي في سنة 1956، اول من اعترف بهذا الخلاف فيه، ويوغوسلافيا عملياً كانت أول من واجهت هذه العقبة في سنة 1948 منذ نشوب خلاف بينها وبين الاتحاد السوفياتي في عهد ستالين. ولكن الحزب، حزب البعث أعلن هذه الحقيقة منذ سنة 1941، لم يأتِ بها من كتب الفلسفة ولا من الفلسفات النظرية ولكنه استمدها من الواقع الحي، لان الحزب الشيوعي كان يحاول ان يجعل من القضية العربية تابعاً لمصلحته، ان يجعل تحرر مئة مليون عربي من الاستعمار، وتحررهم من التخلّف ومن الرجعية أمراً تابعاً لقضية الشيوعية العالمية. ولقد استطعنا ان نحل مشكلة حية، ومشكلة خطيرة في حياة امتنا العربية، وهي أننا استطعنا ان نكون اشتراكيين، واشتراكيين ثوريين وصادقين وان لا نكون تابعين للحزب الشيوعي. إلاّ انه بقي فراغ لم يملأ - ترك فراغ لكي تعطي التجربة العربية مفهوماً جديداً ومعمّقاً للاشتراكية. والملاحظة التي اشار اليها الرفيق شبلي ملاحظة جوهرية، وقد أشير اليها في بعض كتابات الحزب، وهي علاقة الحرية بالاشتراكية. كانت تجارب الدول الاشتراكية وخاصة في الاتحاد السوفياتي أمامنا منذ تأسيس الحزب، ثم أعقبتها تجارب الاشتراكية في دول اوروبا الشرقية، وكانت هناك مأساة انسانية كبيرة في هذه التجربة، ولقد كان شعورنا ان من واجبنا كجزء من الانسانية، ان نبحث ونفتّش ونجرّب لنوفق بين الاشتراكية والحرية، حتى لا تكون الاشتراكية

على حساب الحرية، وحتى لا تكون سعادة المجموع على حساب حرية وكرامة الفرد، ففي ذلك تناقض غير مقبول. فلا يعقل ان تصل الانسانية الى السعادة، السعادة الانسانية، اذا كانت حرية الانسان وكرامة الانسان ممتهنة.

بقي اذن فراغ، كما قلت، فراغ لملء التجربة، وتملؤه العبقرية العربية النضالية باعطاء التفصيلات والشروح التي تربط الحرية بالاشتراكية. وإن مجرد ترك هذا الفراغ، مجرد الإشارة الى ضرورة الموضوع من الناحية الانسانية يميز الحزب، حتى لو لم يصل الحزب في كتاباته الى افكار جديدة في هذا الموضوع. ولكن الإلحاح على هذه الناحية يميزه فعلا.

حتى إنني في مباحثات القاهرة مع عبد الناصر قلت: أننا نحن نقيم للحرية وزن اكبر وأهم مما يوليه النظام الناصري. ويظهر من بعض المقاطع في الميثاق الوطني، وفي كتابات بعض الناصريين، بأن الحرية او الديمقراطية تأتي نتيجة لتطبيق الاشتراكية، في حين ان الحزب يضع الحرية مع الاشتراكية، وكشيء مستقل. وهذا يفرّق في الواقع نظرتنا عن النظرة الماركسية والشيوعية. وهذا لا ينفي التفاعل بين الحرية والاشتراكية. بالعكس، أكد الحزب دوما على هذا التفاعل.. أي انه عندما نمضي في التطبيق الاشتراكي تتطور الحرية. فالحرية الملازمة للاشتراكية، شيء معترف به، ولكن تبقى الحرية شيئا مستقلا، شيئا قائماً بذاته.

وفي سؤال لأحد الرفاق: هل نقدر ان ننسب الاشتراكية الي القومية؟ هل نقول الاشتراكية العربية ام الطريق العربي للاشتراكية؟

جواب: انا افهم من الاشتراكية العربية هو الطريق العربي الى الاشتراكية.

---

(1) كلمة ثانية في الجلسة السادسة من جلسات المؤتمر القومي السادس عند بحث باب الاشتراكية في التقرير العقائدي.

البعث اشتراكية علمية زائدا روح

ميشيل عفلق

دمشق 2 شباط 1964

ايها الرفاق(1)

مع الأسف وصلنا الى حالة من التشويه اصبحت معها الاعمال الشرعية النظامية التي تتطلبها مصلحة الحزب، بل مصلحة البلاد والأمة، تستصرخ الضمائر لكي يظهر من ينقذ البلاد وينقذ الحزب من الكوارث والهاوية، اصبحنا نسمي

الدعوات المشروعة تصرفات فردية، بعد الكارثة التي حلت بحزبنا وامتنا في العراق.. أليس من البديهي ان يتنادى اعضاء هذا الحزب الى الاجتماع ليروا لماذا حلت الكارثة؟.. ليدرسوا وليضعوا خطة ينهضون بها ويجنبون الحزب والبلاد كوارث جديدة اذا استمرت الاخطاء بدون محاسبة، وقد جاءت نكسة العراق بعد زمن قصير جدا من مؤتمر قومي عقد في هذه المدينة، ودامت اجتماعاته خمسة عشر يوما واكثر، وقيلت فيه كل الاشياء التي تحذر الحزب من عواقب سياسة واسلوب لا بد ان يوصلا الى ما اوصلا اليه، ولكن لم تنجح التحذيرات لأسباب من هذا القبيل وللتذرع بالشكليات. يضحّى بمقدرات الشعب بحجة شكليات النظام الداخلي. فليأت اذن اعضاء هذا الحزب بعد وقوع النكسة ولينظروا نظرة جديدة الى شكليات النظام، والى واقعهم، ولينظروا اذا كانوا يرضون لحزبهم ولشعبهم ان يستمرا في هذا الطريق. من يجادل في ضرورة اجتماع مؤتمر قومي بعد احداث كتلك الاحداث؟.. هذه بديهية، وقد حاولنا ان نخرج بقرار من القيادة القومية -وهنا اعضاء في القيادة القومية يشهدون على العراقيل التي وضعت لمدة خمس ساعات من المماحكة لتعطيل اتخاذ قرار-. وقيل ان المؤتمر القومي لا يجتمع بهذه السرعة، ولا بد من التحضير، ودراسة التجربة بكل تفصيل ودقة، وان تؤلف المؤلفات، ونحن نشعر انه اذا لم ندع المؤتمر القومي فليس من سلطة، لم يعد سلطة بالحزب. وقيل ايضا لماذا؟.. هذه القيادة القومية منسجمة، ولم لا تستمر في القيادة، ولم يعرف الحزب كفاءة مثل كفاءة هذه القيادة، هذا كلام قيل في الجلسة التاريخية (2) التي حاولوا بها تعطيل اتخاذ قرار ودعوة المؤتمر القومي، لأن فيها من كانوا يستلمون مسؤوليات، فعليهم ان يمثلوا أمام أعلى مؤتمر في الحزب.. وكيف، وبأي عرف، وبأي عقل، تبقى قيادة بلاد ومقدرات بلاد، مقدرات حزب، يوجد في عديد من الاقطار، وهو على رأس حكم في سوريا.. بأي عرف، وبأي شرع تستمر قيادة لم تستطع ان تجنب الحزب والبلاد النكسة التي وقعت؟ فيجب ان يعود الأمر الى الحزب، وفي قناعتي ان على أي عضو في هذا الحزب ان يبادر الى دعوة المؤتمر.. فكيف بالأمين العام، وهو لم يحدد أشخاصا معينين في دعوته، بل وضع قواعد موضوعية لمؤتمر يضم اكثر ما يكون من الحزبيين، فالمؤتمرات القطرية في الاقطار تجتمع، وقيادات الفروع والشعب التي هي على مستوى المؤتمر القطري تجتمع، وكلها منتخبة، وفي ظرف خطير مثل هذه الخطورة.. يجب ان يمثل الحزب أوسع تمثيل، لان الحق لا يضيع حينما يجتمع اكبر عدد. يمكن ان يلعب التكتل لعبه في نطاق ضيق، ولكن لا مجال لتأثير التكتل حينما يرسل الحزب من انتخبوا انتخابا شرعيا. قال الرفيق حمدي ان الدعوة غير شرعية، وانه سبق وان اقترح تشكيل لجنة تحقيق، وانه يحتج الآن على تشكيل قيادة قطرية في العراق..

ايها الرفاق

لا اريد ان استبق المؤتمر القومي، ولكن لابد من ان أوضح ما قاله الرفيق حمدي. كانت هناك أزمة قوية في العراق، ظهرت بوادرها من الاشهر الاولى.. والرفيق حمدي بالذات، وهو أقل المسؤولين مسؤولية عن هذه الأزمة، لأنه كان في سوريا بينما كانت اخطاء تتراكم في العراق، ولم يرجع الا بعد ان قطعت الأزمة شوطا بعيدا، هو أعرف برأيي وقناعتي وتحذيراتي، ومنذ البداية. قد كلفته مرة وضغطت عليه كي يسافر الى بغداد، وكنا في شهر أيار او قبل، ورجوته ان يذهب ويصحّي الاخوة هناك من عواقب الارتجال، فقد كان في ذلك الحين -اي بعد ثلاثة اشهر من الثورة- كان المعسكر الشرقي برمته يقف ضدنا، وأضاع الحزب إحدى مقومات سياسته التي ارتكز عليها دوما: الحياد الايجابي، فقلت له: اذهب وقل للرفاق ماذا بقي من سياسة الحياد الايجابي بعد السياسة التي تنتهجونها؟. وكذلك يعرف الرفيق حمدي بأنني كنت احذر دوما من سياسة التقتيل والتعذيب ضدا أي كان، لأن الخلاف بيننا وبين الشيوعية لا يمكن ان يجيز هذه الأساليب.. الثورة لها حق مشروع في الدفاع عن نفسها ضد من يحمل السلاح ضدها في الاشهر الأولى، ولكن بعد استمرارها -وفي الصحف لا يمضي شهرا وأسابيع حتى نقرأ ونسمع بتنفيذ اعدامات- فقلت له بان هذا يسيء جدا. وذهب الرفيق حمدي، وعاد دون ان يؤثر.. وقد يقال ان هذه السياسة كانت العناصر غير الحزبية في الحكم تشجع عليها، وهذا صحيح، ولكن كيف يتحمل حزب البعث مسؤولية الثورة والحكم في بلد عربي اذا كان من الخفة لدرجة ان تورطه العناصر اليمينية؟.. فكيف يكون في مستوى المسؤولية والحكم والثورة؟.. هل هذا جائز ان نترك

العناصر غير الحزبية او الضعيفة الوعي، سواء التي كانت لها أغراض سياسية من تقتيل الشيوعيين لاسترضاء اليمينيين، او الذين كانت عقولهم وتربيتهم توحي اليهم بهذه السياسة ولا يعرفون مضارها وعواقبها على البلاد؟ الحزب في النهاية هو المسؤول وهو الذي يحاسَب أمام الرأي العام في الداخل والخارج.. ثم اطلعت من القيادة القومية السابقة للمؤتمر القومي على وجود ازمة بشكل واضح منذ اوائل شهر حزيران.. اذكر ان رئيس مجلس الوزراء العراقي الرفيق احمد حسن البكر طلب ان يجتمع بي في ذلك الوقت، ولاول مرة اسمع منه حديثا طويلا يعدد فيه الاخطاء في الحكم، وكيف انه يسير نحو العزلة، وكيف ان المشاكل تزداد في داخله، وفي داخل مجلس الثورة. كانت له آراء وملاحظات صائبة في طريقة التعامل مع الناس، في طريقة الادارة والتوظيف، في التغاضي عن اخطاء الحزبيين في الوظائف والحرس القومي، في الإهمال والارتجال، وفقدان الخطة، في التناحر الشخصي.. كل هذه الاشياء كانت واضحة وبارزة منذ اوائل حزيران لدرجة ان هذا الرفيق الذي يجمع الكل على احترامه، وان الرفيق البكر رجل مشهود له بالإخلاص، وبالأخلاق القويمة وبالتجربة والحكمة، وكان قد انتسب الى الحزب في عهد قاسم، ونسمع أخباره بأنه الرجل الأول بين الحزبيين العسكريين وبأنه مهيأ للقيادة نظرا لما يتمتع به من اخلاص، هذا الرجل قال لي منذ حزيران: "إنني كنت المح علائم الحب في عيون الناس، اما الآن فإنني الجأ الى الطرق البعيدة عن البشر عندما اقصد مكتبي لكي اتحاشى انظار الناس لأني لم اعد أرى إلا الكره في عيونهم". وكانت تطرح هذه المشاكل في القيادة القومية، وأزيدكم علما بان القيادة القطرية العراقية التي حكمت العراق بعد 14 رمضان الى وقت النكسة لم تجتمع اكثرمن 3 - 4 اجتماعات في 10 اشهر، وبشكل أوضح لم تكن تجتمع الا عندما كانت القيادة القومية تذهب الى بغداد وتجمعها بالضغط، وبعد سفرها تنتهي القيادة القطرية كقيادة، ولا يعود هناك الا افراد بعضهم متجانس ويعمل بتفاهم، والآخر مشتت. ودرسنا مع القيادة القطرية في ذلك الوقت كيفية إصلاح الحال، فوجدنا ان السبب الرئيسي هو عدم وجود خطة للحزب وللحكم، وكان بعض الرفاق قد أعدوا مشروع خطة، وقُرئت في اجتماع قيادة قومية مع القيادة القطرية، ونوقشت وأقرت، وبقي على القيادة القطرية ان تطبقها، ولكن بعد رجوع القيادة القومية بيوم او يومين انتهت الاجتماعات، وانتهت الخطة، وقيل من قبل احد اعضاء القيادة القطرية لمنظمة حزبية، وكان هذا العضو مكلفا بان يشرح للمنظمة الخطة لكي تتبناها وتعمل على تطبيقها والدعاية لها بين الشعب، قال للمنظمة هذه خطة ولكنه غير قانع بها، وعندها انتهت ودفنت في اليوم الثاني لعرضها. وعاد كل واحد منهم الى ديدنه في التفرد والارتجال، وسمعت مرة من الرفيق حمدي يسمي دعوة المؤتمر القومي الى انقاذ الحزب والبلاد عملا فرديا، ولكني لم اسمعه يشجب تلك الأعمال، لم اسمعه يسمي تلك الأعمال فردية، وعلى الأصح سمعت ذلك بيني وبينه، ولكنه لم يواجه بها المؤتمرات.. هذه هي الشجاعة، لا ان نطمس الحقائق على افراد حزبنا وشعبنا ونحن نتصرف بمقدراته.. نعم غبنا شهرين، وعدنا وإذا الحال أسوأ من السابق، وفي المرة الثانية -اي بعد شهرين، في تموز وآب- سمعنا نغمة جديدة: نغمة يسار ويمين، بينما سمعنا في الاول انه لا خطة هناك. وبعد شهرين، فاذا بكتلتين في القيادة وعددها (9)، أضيفَ اليهم عضو خلافا للنظام، والمهم ان (2) من (9) كان لهم رأي وموقف عدا الآخرين، وكان هذا كافيا ليؤخذ مبررا لعدم الاجتماع، اجتماع قيادة طوال عشرة أشهر.. اثنان يخالفان سبعة، لماذا لا تجتمع القيادة، وتبت، وتأخذ قرارات بالأكثرية، وتفرض قرارها؟ سيقال لكم ان المسألة ليست بهذه البساطة: هناك الحكم، والحزب لم يكن مسيطرا كل السيطرة، وبالتالي القرار الذي يتخذ بالأكثرية في القيادة لا ينفذ في الحكم، ويمكن بعد هذا الحل السليم لحل المشاكل كي نلف ونحتال ونتهرب فنتخذ قرارا ونقول للحكومة وللمجلس هذه سياسة الحزب.. طالما هناك اثنان يخالفان رأي الآخرين، فلا موجب لاجتماع القيادة. هذا مريح جدا كي لا تكون هناك قيادة وقرارات، بل كتلة افراد يجتمعون حسب أهوائهم. ومنظمة العراق، وهي أعلى مستوى تنظيمي، بقيت عدة اشهر بلا توجيه، بلا نشرة، بلا انتخابات، ففرضت القيادة نفسها بدون شرعية.. فأين الشرعية التي يتذرعون بها؟.. ولكن عندما اصبح الحزب حاكما لا تجري انتخابات، والقيادة لا تجتمع، بل الافراد كل واحد يعمل على هواه، فإنني ايها الرفاق، اقول لكم بأننا، وأنا شخصيا، كنت اشعر بالخوف والقلق والذعر على مصير الحزب في العراق. كنت اعتز بحزبنا في العراق قبل 14 رمضان اشد الاعتزاز، وهذا معروف لدى الجميع، وكنت اعتبره الحصن الحصين للحزب في جميع الاقطار. ولكن بعد 14 رمضان بدأت اشعر بالقلق

للتصرفات الفردية الطائشة.. رأيت ان المستوى ليس مستوى قيادة بلد وشعب، بل كان متناسبا مع ظروف النضال السلبي، وكم مرة صارحت الرفيق حمدي خاصة بذلك، ولأنني اعرف رصانته، بمخاوفي هذه، ولذلك طلبت من القيادة القومية السابقة ان تسارع الى عقد مؤتمر قومي في 17 أيار. اتفقنا على ذلك -أي بعد 14 رمضان بثلاثة أشهر ونصف ولكنهم جاؤونا في 15 ايار ليقولوا انهم لم يستطيعوا إجراء انتخابات- كانت هناك مشاكل أخذت بوادرها تظهر، وأخذت تشير الى ان هذا المستوى من القياديين لا يكفي لكي يحسن تسيير الثورة الى الشاطئ الأمين. ولأن هؤلاء الرفاق لم يعودوا يسمعون رأيا او نصيحة من احد، ولا من القيادة القومية، أعلى قيادة في الحزب. فكانوا بكل صراحة يقولون انهم في غنى عن أي رأي آخر، وكل رأي يقابل بالاستخفاف. قلت لهم: ان الرأي العام العالمي لا يُستخف به، وان الرأي العام العربي يجب ان نهتم به. كنا نسمع: وماذا يهم ذلك علينا في العراق؟.. ولكن كيف كان يساس العراق؟.. بالارتجال، بالاعمال الفردية، وبدون جد.. وأنا افهم من الثوار ومن الثورة ان يقضوا الخمس سنوات الاولى في سهر دائم، ان لا يأخذوا نفسا في السنوات الاولى، ان يناموا ويقوموا في مراكز عملهم، حتى لو لم تكن لهم الكفاءة والخبرة المطلوبتين، انما الغيرة الثورية اذا كانت جدية فتقتضي هذا.. لم نشاهد شيئا من هذا بالعراق، بين اخواننا، فاغتروا بالنصر. ويجب ان نصارح بها انفسنا.. وطالما ان القيادة القومية لا يُسمع رأيها، والزمالة ليس لها حساب ايضا، فلم يبق الا العودة الى المؤتمر القومي. ضغطنا على إخواننا مرة ثانية وثالثة بان يجروا انتخابات حتى نعقد المؤتمر القومي، ووافقوا على ذلك، وأجريت الانتخابات وخرج منها مؤتمر قطري، ولأول مرة في تاريخ الحزب تبتدع بدعة بأن تجرى الانتخابات على دفعتين، فانتخب مؤتمر عام من (54) عضوا، وهذا بدوره انتخب سبعة وعشرين عضوا. أهذا أصولي ونظامي جدا؟ أما دعوة المؤتمر القومي في ظروف رهيبة فهو عمل فردي من قبل الأمين العام.. وأخيرا اجتمع المؤتمر القطري..

ايها الرفاق

هناك اعضاء القيادة القومية السابقة، بعضهم تواجدوا هنا في هذا الاجتماع، ويشهدون على القلق الشديد الذي كان يساورنا من استمرار هذه السياسة وهذا الاسلوب، وليسوا هم وحدهم، لا بل وجدت من واجبي ألاّ اترك القيادة في سوريا.. فالحزب واحد والمصير واحد، وما يصيب العراق يصيب سوريا بالدرجة الاولى، فدعوت بعض اعضاء المجلس الوطني الى اجتماعات، وهم حاضرون بينكم، وكنت احذرهم، واقول لهم باننا يجب ان نبادر الى تفادي النكسة قبل وقوعها، يجب ان ننصح اخواننا وان نردعهم، وان نعاونهم ونكمل ما في تجربتهم من نقص، لان استمرار هذه الاخطاء سيزيد في عزلة الحزب والحكم.

في المؤتمر القطري العراقي تكلمت، وحذرت، وكلمتي كتبها بعض الرفاق هناك.. حذرت من هذه الاخطاء، ولكن ربما قصرت ولم استعمل الكلمات القاسية الجارحة، ولم اصرخ بكل صوتي في البعثيين ان يتداركوا حزبهم وثورتهم وقضيتهم، كي لا تضيع.. قصرت، لم أتكلم بهذه الصراحة، وإنما أشرت الى الأخطاء، وقلت ان الحزبي الأصيل يستطيع ان يتغلب على هذه الاشياء ويتداركها، ولاحظنا في المؤتمر أسلوبا غير سليم، لا يدعو الى الاطمئنان. لم يكن مؤتمر حزب بعث، اذ لم اعرف مؤتمرات كهذا، بل كان برلمانا للمرافعة، لتسقط الهفوات اللفظية، للمحاسبة على شكلياتها، كما في المحاكم او البرلمانات، حيث التكتل والاحزاب المختلفة. ولم نر كلاما صريحا الا من القلائل جدا، ومن جهة واحدة.. لاحظنا بعض اعضاء القيادة القطرية او اثنين، حدثتكما عنهما بانهما كانا يخالفان السبعة الآخرين، وينتقدان هذه الأساليب والأعمال من أشهر. لاحظنا روحا تنذر بالخطر: إنهما يحرضان العسكريين على الحزب، ولذلك لم نسترسل في انتقاد الأخطاء وفي شرحها الشرح الكافي، لكي لا تستغل ضد الحزب، وقد حذرت هذين العضوين اثناء المؤتمر، ونبهت بعض الرفاق العسكريين، وخاصة الرفيق البكر، ذهبت الى مكتبه اثناء المؤتمر واجتمعت به بحضور رفيقين من القيادة القومية وكان كلامي في ساعة او اكثر ينصب على الفكرة التالية: الحزب اولا.. هذا الحزب لم يرتجل في يوم، ولم يصنع في يوم او سنة،.. هذه حركة تطلبت سنين وسنين حتى تأسست وفرضت نفسها من خلال الصبر

والثبات والتضحيات وسقوط العديد من الشهداء، فليس كل يوم تصنع الأمة العربية حزبا بهذا المستوى، ولذلك يجب ان تنتبهوا، فلا يجوز الاستعانة بقوة من خارج الحزب على الحزب، بل يجب معالجتها ضمن الحزب.

أيها الإخوة

ورفاقنا يشهدون وسيقولون لكم ذلك،كنت اقول لهم اخطاء الرفاق هي افدح بكثير من تآمر الآخرين، لانها هي التي ستدفع الى التآمر، وتبرره. فالحزب اما ان يكون فعلا قد وصل الى الثورة وحققها عن جدارة، فعليه ان يحمي نفسه ضد كل المتآمرين، عليه ان لا يترك لهم ذريعة ليطعنوا به، والا فيكون وصوله غير طبيعي، وفي غير أوانه، لأنه لم يحقق المستوى القيادي اللازم لقيادة ثورة وشعب، وهي تختلف عن قيادة فِرَق وشُعَب.. كنت أقول لهم، هؤلاء الرفاق، كنت احدثهم عن نضالهم، وطالما سمعوا إعجابي بهؤلاء الرفاق، وبنضالهم السابق، ولكن ما العمل؟.. انهم لا يبرهنون عن جدارة في الحكم، وفي تحمل المسؤوليات في مرحلة البناء والثورة.. ليس عندهم الشروط لذلك، وانا اتمزق بين وفائي لهم ولماضيهم، وبين خوفي وقلقي من حاضر أعمالهم.. فعليكم انتم ان تساعدوني في الضغط عليهم، لكي يلتزموا ويتوقفوا عن هذا الاسلوب.. وفي المؤتمر القومي بقيت لنا فرصة أخيرة، وكنت اقرب الى التشاؤم في هذا المؤتمر، وقبل ان يبدأ، لأني لمست شيئا في اسلوب هؤلاء الرفاق تكرر و تكرر، فعرفت ان اسلوبهم هو التأزيم المتزايد.. التأزيم، اذا حققوا نصرا فيزدادون امعانا في الاخطاء نفسها، امعانا وغلوّا، بدلا من ان يستفيدوا من الدروس، وان يجعلوا هذا النصر للحزب. ولكنهم بدلا من ان يعتبروا ويبدأوا صفحة جديدة، ويحاولوا ان يروا نصيب الحقيقة في آراء خصومهم -لان كل معارض عنده نصيب من الحقيقة- بدلا من ان يضعوا الحزب فوق اشخاصهم، بدلا من ان يفتحوا صدورهم ليتغلبوا على عاداتهم، وليرعوا ذمة الحزب ومصير الحزب، وليغيروا من الأعمال المتطرفة التي اساءت وعزلت الحزب.. كل هذا لم يحدث، ولم يغير الرفاق شيئا من أسلوبهم بعد المؤتمر القطري، لان التصويت دل على عدم رضى كامل عن مثل هذه السياسة، ومثل هذه القيادة.. وكانت القيادة القومية بالقياس الى ما قبل الثورة تخص الحزب في العراق بنسبة كبيرة من التمثيل في المؤتمر القومي، بنسبة نضاله، وكان له رجحان وعدد كبير من الممثلين، واستمرت القيادة القومية على هذا المنوال، واعطت الحزب في العراق 25 ممثلا، بينما أخذت سوريا اقل من ذلك بسبعة مقاعد.. وتعرفون -ايها الرفاق- مرضا آخر من امراض العقلية الضيقة: هو ان هؤلاء الرفاق جعلوا العضوية في العراق بالحزب أشبه بالعضوية في الجمعيات السرية، فكان حزب البعث يضم الآلاف من شباب العرب في العراق من المناضلين الذين تعرضوا الى التجارب، ولكن هذه الآلاف حرمت من حق العضوية، وتحصر في مئات فقط.. وهؤلاء يحكمون الملايين في العراق، في حين انه لا يمكن ان تخرج إرادة صحيحة من هذه الفئة السرية. لا.. ليس هذا من روح نظام حزبنا.. ولكن هذا كان الواقع في المؤتمر القومي.. جاء رفاقنا بنسبتهم الكبيرة في التمثيل، ونعرف ايضا بان لهم في سوريا من هم متأثرون بهذا الاسلوب الى حد ما.. كان منتظرا اذن ان لا يؤدي المؤتمر القومي الى حل صحيح وجدي لأزمة الحزب، ومع ذلك بذلنا الجهود. وقد نبهت بعض الرفاق في الايام الاولى للمؤتمر الى ذلك، وطلبت منهم ان يتكلموا ويقولوا ما يعرفونه عن هذه الاخطاء كي يستطيع أعلى مؤتمر في الحزب ان يجد حلا. وتكلمت كثيرا في هذا المؤتمر، وحذرت كثيرا، وقد عدت لأقرأ الكلمات التي قلتها في المؤتمر القومي، الا انها كانت ضائعة، والتسجيلات التي سجلت في المؤتمر القومي لا اعرف ماذا حل بها.. قلت للمؤتمر القومي ان هؤلاء الرفاق ناضلوا وتعبوا، ولكني اشرت بوضوح الى اسلوب دخيل عن الحزب، او هذه هي قناعتي، سأقولها دائما، هذا أسلوب تكتل واحتراف لصنعة استغلال النظام الداخلي.. خذوها مني هذه الكلمة: صنعة وحرفة، بشكليات وفقهيات وبيزنطيات، لا يعقل ان يتحول البعثيون الى اشخاص من هذا النوع، وهم يستلمون مقدرات الملايين من أبناء امتنا، والأمة تنتظر تجربة البعث لكي ترى هل هي جديرة بالحياة؟.. ثم بعد اصابتنا بالنكسة تستمر هذه الشكليات بالماحكة، كي ينفردوا بالسلطة، بالقيادة، لكي يطمس الرأي المعارض والمخالف، لكي تطمس الحقيقة.. ماذا حل بنا حتى نصل الى هذا المصير؟. أسلوب هجين غريب، فقد بدأ حزبنا بالصدق والبساطة ولا يستطيع ان يستغني عنهما هذا الحزب، هذه العقيدة البسيطة التي سمعت في الأشهر الأخيرة من التهكم عليها، ومن التعريض بها، ما يدمي القلب من كبار القياديين.. هذه العقيدة بفضلها

وصلتم الى القيادة والحكم، لان الشعب العربي حينما أعطاكم الثقة، أعطاكم إياها بالنسبة للكلمات البسيطة التي عبرت عن عقيدة الحزب لا للتكتل والسرية. حذرت في المؤتمر القومي بكل محبة، وفي اعتقادي وضميري ان المحبة فوق كل قيمة. البعث هو اشتراكية علمية زائد روح.. لذلك راجعوا كلماتي في المؤتمر القومي. خاطبت هؤلاء الرفاق بكل محبة، ولم يُجدِ ذلك. كنت اقول لاعضاء المؤتمر القومي، بالحرف الواحد: إني وضعت عمري في هذا الحزب، ومن الطبيعي الا اطمح الا الى ان أرى الحزب ينمو وينجح، نجاحا صادقا، لذلك فاني اقلق وأحذر. اقول لهم عليكم ان تسألوني. وفي اليوم التالي قلت خلاصة تجربتي، وخلاصة تحذيراتي. ولما حان موعد انتخاب القيادة القومية الجديدة، ورُشحت، قمت واعتذرت.. وكان الكثيرون في المؤتمر القومي يعرفون من أيام انعقاد المؤتمر بأنني لن ارشح نفسي.. لأنني سأستغل كستار لا أكثر، لأنني لم ألمس أي تراجع عن الاسلوب، بل لمست الاسترسال والتمادي.. وانا اعرف بانهم سيرشحونني، وسينتخبونني بالإجماع لحاجتهم لي. ولماذا أساعد على إخفاء الحقائق عن الحزب؟.. واعتذرت، وحدث الضغط علي من كل جانب، ومنهم -من هؤلاء الرفاق انفسهم- من يعلم بان المؤتمر يفشل، وان الحزب يتقسم، وان.. لا اعلم ماذا يحدث؟ فأصغيت وسكت، وذهبت وبقيت يومين في حالة من التمزق، وأنا أرى الاخطار. فكيف أنبه الحزب؟.. استقالتي كانت واجبة، او اعتذاري عن الترشيح كان واجبا. ففكرت في الاستقالة واعتذرت يومين عن حضور الاجتماع، وتأخر الاجتماع، ثم ذهبت وبقيت ساعة او ساعتين، واعضاء القيادة ينتخبون وانا صامت ذاهل: أبقى او لا أبقى.. ومن ثم صارحتهم. قلت لهم ان هذه القيادة خرجت نتيجة تكتل، واذا كان هو الذي سيقود الحزب فسينهار، لان التكتل يغلب عليه العصبية وروح التكتل، اما اذا استطاعت هذه القيادة، رغم خروجها عن التكتل، ان ترتفع الى مستوى المسؤوليات، وان تنسى انها متكتلة، فأنا مستعد، والا فدعوني وشأني.. ويعرف بعض الرفاق أني فكرت في السفر بعيدا، كي يتساءل البعثيون في كل مكان عن سبب انسحابي وسفري.. قلت لهم: ليس من السهل ان يترك واحد مثلي حزبه. لذلك عندما أكدوا لي بان القيادة لن تعمل بروح تكتل بل بروح المسؤولية تابعت العمل... وفي جلسة تاريخية، قبل احداث العراق بأيام معدودة حضرها كل اعضاء القيادة عدا الرفيق البكر، اجتمعنا يومين، ساعات وساعات، ليلا ونهارا، وعالجنا مشكلة العراق.. وطرحت أسئلة على الرفاق، وقلت لهم، ان جوابكم عليها سيكون تاريخيا: هل هناك احتمال انقلاب ضد الحزب؟.. فكان الجواب: لا.. لا يوجد واحد على ألف من هذا الاحتمال.. لم يكن هناك اي شيء يخفى من تآمر عارف.. كل هذا كان معروفا او مفترضا، وهذا واجب القيادة ان تفترض ان المؤامرات لن تنتهي. فالجواب كان من البعض بالتردد، ومن الآخرين بالنفي، وهؤلاء الرفاق كلهم حاضرون..

ايها الرفاق

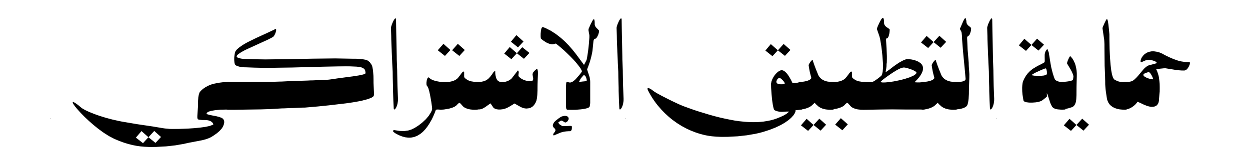
لن أذكر امام هذا العدد من البعثيين.. امام هذا العدد من المواطنين العرب -بصرف النظر عن كونهم بعثيين- فانهم مواطنون عرب، بشر، لن اذكر امامهم كل ما قيل بحقي من افتراءات واتهامات بعد نكسة العراق من رفاقي في الحزب، وفي القيادة القومية، وفي قيادة العراق، كانوا في المؤتمر القومي الأخير، وكانوا في السنين الماضية يقولون عني أشياء، وحتى في المؤتمر القومي الأخير قاموا وذكروا اشياء نسبوا الي الفضل فيها بدون ان أستحقها.. ولكن هذا الأسلوب، ليس المهم ان اجرح شخصيا، المهم هذه العقلية، والشريعة العجيبة التي تجيز مثل هذه الاحكام والتبدلات السريعة والمفاجئة، بالأحكام على الأشخاص.. التي تجيز في حزب يضم عربا ويضم أناسا أسوياء.. هذا الأسلوب الذي يجيز أن يتهم شخص بلغ الرابعة والخمسين من العمر، وقضى في هذا الحزب أربعا وعشرين سنة منذ اللحظة الأولى لتأسيسه، واستعد سنين قبلها للقيام بهذا العمل، ان يقال بحقه من الافتراءات ما لا يقال، وذلك فقط، لأني كنت دائما ومنذ أشهر عديدة أنبه بمحبة، وبدون ان أجرح أحدا، واقسى كلمة قلتها: " الطيش، الارتجال"، كنت اقولها لتألمي على هذا الحزب.. لا أعلم ماذا سيقول الشعب البسيط عندما يجد ان حصيلة أربع وعشرين سنة في هذا الحزب المنظم هي هذه الطعون والتهم والمكافآت الرائعة التي تقدم لشخص يعرف -قبل اي انسان آخر- انه بسيط متواضع.. بل عربي وبسيط أراد ان يتحدى كثيرا من الاشياء في هذا الوطن. كل ما قلته اقتنعت به، وصلت ثقافتي الى هذا الحد، ووقفت

عند هذا الحد.. وأقولها صادقا: إني اعرف نفسي وحدود إمكاناتي، ولكن أعرف نفسي أني صادق.. وقلت للشبيبة التي وجدت في الصدق ان لدي ايضا نواقص كثيرة ومواطن ضعف، ولولا إيماني بالله.. إني أؤمن به، وذكرت ذلك في كتاباتي.. الايمان بالله.. بالأمة العربية.. بالشباب العربي.. الذي أعطاني الثقة وأكثر مما استحق.. تغلبت ولم أيأس، بل تابعت الطريق الى هذه السن.. هذا، بكل بساطة، ما اريد ان يُعرف عني اذا عاش هذا الحزب، وسوف يعيش لانه صادق، وفيه بذرة صدق تكفي لإنقاذ امة.. اعرف كل شيء.. اعرف الظروف القاسية وما طرأ على الحزب من تشويه.. اعرف، ولا أحب ان استرسل أكثر من ذلك، ولكني أقول ان الذي يعيش بين عشرات ومئات وألوف من شباب العرب ربع قرن او اكثر -وكنت قبل تأسيس الحزب ومنذ صغري مؤمن بهذه المبادئ- وأبي قبلي كان وطنيا وتعلمت منه الوطنية، وهذه ولأول مرة أذكرها في حياتي.. أقول لكم، أيها الرفاق، من قضى العمر في خدمة العقيدة لا يخاف احدا ولا يهاب احدا.

---

(1) كلمة أولى في المؤتمر القطري السوري الاستثنائي في 2 شباط 1964.

(2) عقد اجتماع القيادة القومية المقصود هنا مساء 10 كانون الثاني 1964، وحضره 9 أعضاء من أصل 13.



ميشيل عفلق

دمشق كانون الثاني 1965

س : نغتنم فرصة اعلان الخطوات الاشتراكية في سوريا لكي نتحدث لقرائنا عن هذه القرارات.

ج : إن ما تم كان خطوة لابد منها إذ أنها تتمشى ومبادىء الحزب الذي ناضل عشرات السنين لكي يطور المجتمع ويحدث الانقلاب اللازم في نظام الانتاج ويغير العلاقات الاجتماعية والاقتصادية ويضع بين أيدي الشعب وسائل إنتاجه. إن الاشتراكية من صميم مبادئنا والتطبيقات الأخيرة كانت ثمرة لنضال حزبنا وانتصار مبادئه.

إن حزب البعث ناضل ويناضل من أجل تطبيق الاشتراكية على المستوى القومي، على مستوى الوطن العربي كله، ليجعل من أدوات الانتاج ملكا للمجتمع وملكا للعرب. لقد تعرض حزبنا لهجوم ظالم لأنه وضع الاشتراكية هدفا من

أهدافه الأساسية، ولكن سرعان ما تحول منتقدوه الى مدعين للاشتراكية ثم الى مزاودين عليها لانهم أدركوا مدى انفصالهم عن الشعب وعجزهم عن محاربة الحزب. فحزبنا هو أول حركة عربية أكدت ولا زالت تؤكد وحدة القضية العربية نظريا وعمليا، ولذلك فإنه يعتقد أن ما حققه الحزب حتى الآن في أحد اقطاره هو خطوة في الطريق الطويل، طريق توحيد الوطن العربي وحريته السياسية والاجتماعية لكي يأخذ التطبيق الاشتراكي مداه، ان التطبيق الاشتراكي يجب أن يؤدي إلى توفير المناخ الملائم للوحدة العربية والى رفع المستوى الاقتصادي والاجتماعي والثقافي لجماهير العربية. أن يقيم صناعة عربية يتوفر لها رأس المال العربي المهرق على الشهوات والملذات في بعض الأقطار، كما يتوفر لها السوق الواسعة الممتدة من المحيط الى الخليج والامكانيات العلمية والفنية المعطلة. إن حزبنا يؤمن بأن الاشتراكية على المستوى القومي تؤتي الثمار المرجوة منها من رفع لمستوى المعيشة وتنمية للامكانيات الاقتصادية والثقافية واطلاق للمواهب والطاقات الموجودة بين الجماهير العربية المجزأة. إن قوة الوحدة العربية ليست هي نفسها في حالة تجميع الأقطار المجزأة، وانما هي قوة أخرى أكبر وأضخم. ولذلك يكون من الواجب الانتباه إلى هذا الاعتبار وتوفير المناخ الملائم للوحدة العربية. فالانجازات على المستوى القطري مهما كانت ضخمة وجريئة لا يمكن أن تكون الحل النهائي لمشكلات الجماهير العربية. بهذا المنظار نحن ننظر للخطوات الهامة التي تحققت في القطر السوري، انها خطوات ضرورية وهي أيضا بداية الطريق. إلا أن هذه الخطوات حتى تؤتي الثمار المرجوة منها لابد أن تتوفر لها شروط أخرى ضرورية، وأول هذه الشروط أن توضع هذه الاجراءآت ضمن إطار الاقتصاد الاشتراكي المترابط وقوانين حركته لتوفير الظروف الملائمة لتطويره ونمائه مثل تأميم التجارة الخارجية وتنظيمها بحيث يصبح القطاع الاشتراكي المهيمن على فروع الانتاج وبحيث تكون هذه الاجراءآت جزءا من خطة مدروسة وشاملة لجميع المرافق الحيوية في المجتمع التي تتوقف عليها مصالح الجماهير الأساسية. أما الشرط الثاني فهو إنشاء أجهزة حكومية وشعبية لمراقبة التجربة وتصحيح ما يقع فيها من أخطاء ولكي تحس الجماهير بأن هذا الانجاز إنما هو لمصلحتها وقد أصبح ملكا لها. كما أن نجاح التجربة مرهون بوضع أكفأ العناصر وأشدها إخلاصا لادارة هذه المؤسسات. إلا أن الشرط الأكثر أهمية لذلك هو انفتاح الحزب والحكم على الجماهير ذات المصلحة الحقيقية في هذه الاجراءات وتقوية الحزب بضبط تنظيماته واحترام أنظمته والانصياع الى قياداته بحيث يستطيع أن يحرك الجماهير الواسعة ويدفعها إلى الحماس كي تحتفظ دوما باندفاعها الثوري. إن أحد الشروط الأساسية للاشتراكية المتفق عليها اليوم بين الأوساط التقدمية في العالم هو توفر حزب ثوري عقائدي يحول دون بيروقراطية الدولة وجمود أجهزتها ويكون قادرا على تحريكها وتوجيهها، خال من ازدواجية القيادة والتوجيه وموحد الفكر والعقيدة لمنع منظماته وعناصره من أن تصبح ذيلا للأجهزة البيروقراطية، الشيء الذي يفقدها حرارة الثورة وشجاعة النضال ذلك المعين الذي لاينضب للطاقات الخلاقة القادرة على التطوير المستمر والتصحيح النزيه المتواضع ويكون صمام أمان من الانحرافات التي تسببها مغريات السلطة.

س : ما هي الصعوبات التي تعترض تجربتكم الاشتراكية ؟

ج : إن الصعوبة الأساسية التي تعترض أية تجربة اشتراكية لاتكمن فقط في الاتجاه الفكري والمصالح الطبقية المعادية للاشتراكية وانما تكمن في خلق أجهزة جديدة للدولة ووضع علاقات محددة بين اختصاصاتها بحيث لا يكون هناك تنازع على الاختصاص والسلطات. وكذلك تحديد علاقات محكمة بين الهيئات الشعبية كعلاقة الحزب بالسلطة وعلاقة النقابات بالدولة ودور الجيش في حماية الثورة وعلاقته بالحزب والسلطة. بالاضافة الى شيء خاص بثورتنا وهي علاقة الثورة في سوريا بالثورة القومية العربية وحفاظها على طابعها القومي ومقاومة الرواسب الاقليمية والقطرية في خارج الحزب وداخله. إن هذه الصعوبات بالرغم من أن المؤتمر القومي السادس لحزبنا قد عالجها وأعطاها بعض الحلول الصريحة إلا أن الظروف غير الملائمة التي مرت بعد نكسة الحزب في العراق، قد حالت دون وضعها موضع التنفيذ. ونأمل أن نتجاوزها بالتمسك بالنضالية الصلبة وبمصلحة الحزب والثورة وبالاعتماد على وعي مناضلي حزبنا، وضمن احترام نظامه ومقررات قياداته ومؤتمراته.

إن هذه الأمور التنظيمية والقومية هي التي يدورحولها النقاش داخل حزبنا وهي محل الاختلافات والاجتهادات التي يجب أن تكون أساسها مصلحة الحزب القومية ومصلحة الثورة والجماهير العربية في القطر السوري وغيره من الأقطار العربية. لان حزبنا ليس حزبا قطريا وانما هو قومي امتداده الو طن العربي كله ومصلحته العليا. إننا إذ نقف على منعطف تاريخي ونحقق انتصارات مهمة لاينسينا ذلك المصاعب المتبقية ولا يثير فينا الغرور والكبر، وانما يدفعنا إلى مواجهة الواقع بشجاعة وصراحة، لان الشجاعة والصراحة الثوريتين هما اللتان تمكناننا من حل المشكلات وتجاوز المصاعب التي تواجهنا. إن حزبنا حزب ثوري يؤمن بالنقد والنقد الذاتي ويرفض الهروب من المصاعب، ومصمم على مجابهتها بروح ديمقراطية ثورية.

